الله يعاملك كما تعامل عباده

تأليف فضيلة الشيخ العلامة/
محمد بن عبدالله الأمام

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

مركز دار الحديث – معبر

اليمن – ذمار

تلفاكـــــس: ٠٦/٤٣٠٢٨٠

موقع الشيخ على الإنترنت

www.sh-emam.com

الإخراج والطباعة

المتخصص للطباعة والنشر – صنعاء

Almotkhasis2004@hotmail.com

النسخة المعدلة المصححة

الله يعاملك
كما تعامل عباده

فضيلة الشيخ العلامة/

محمد بن عبد الله الإمام

دار الحديث بمعبر


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد:

فمعلوم من الإسلام أن الله قد أعطى كل ذي حق حقه وجعل سبحانه القيام بحقوق عباده كالقيام بحقوقه ووعد على القيام بأدائها بخيري الدنيا والآخرة وجعل سبحانه مقابل كل حق موصول إلى مستحقه مكافئة منه سبحانه في الدنيا والآخرة فمن رحم عباد الله رحمه الله ومن أحسن إليهم أحسن الله إليه ومن رفق بهم رفق الله به ومن أعانهم أعانه الله ومن فرج كربهم فرج الله عنه كربه ومن سترهم ستره الله ومن نصرهم نصره الله ومن عفا عنهم عفى الله عنه ومن غفر لهم غفر الله له.

ولما لهذه المعاملة من إصلاح القلوب وزكاة النفوس واستنارة العقول والحياة مع الفضائل والبقاء مع معالي الأمور ومحبة الخلق وجواز القبول عندهم والحصول على القبول منهم كثرت وصايا أهل العلم لخواص المسلمين من ولاة أمور ودعاة إلى الله ومصلحين بين الناس بذلك ومنها أن يجعلوا المسلمين على ثلاثة أقسام:

كبيرهم كآبائهم وأوسطهم كإخوانهم وأصغرهم كأبنائهم

فمن منا يحب أن ينال من أحد من هؤلاء بأذى أو يمسهم بسوء قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٢/٢٨٣).

قال رجل لعمر بن عبد العزيز اجعل كبير المسلمين عندك أبا وصغيرهم ابنا و أوسطهم أخا فأي أولئك تحب أن تسيء إليه ومن كلام يحي بن معاذ الرازي ليكن حظ المؤمن منك ثلاثة إن لم تنفعه فلا تضره وإن لم تفرحه فلا تغمه وإن لم تمدحه فلا تذمه .

ولا تغفل عما في المعاملة الحسنة من إظهار محاسن الإسلام وجمال الأخلاق ونور المعاملة عند أعداء الله ولا ننسى أن في هذه المعاملة الطيبة إرغام الشيطان ودحر الخوان وإفشال أصحاب الطغيان فالحياة مع المسلمين بما ذكرنا هي حياة الأمناء الأوفياء والكرماء الشرفاء والنصحاء الأتقياء فالتعاون بين المسلمين عمل خيار المؤمنين وبررة المتقين ولقد أتى على المسلمين إلا من رحم الله سنين عجاف وأحوال جزاف ومعاملة بإجحاف وتصرف بعيد عن الإنصاف وتعاطي الإساءة في حقوق الأخوة والإسراف فمن صار على هذا فقد توعده الله أنه سيعامله كما عامل عباده فمن فضحهم فضحه الله ومن مكر بهم مكر الله به ومن أهانهم أهانه الله ومن ظلمهم أخذه الله ومن بغى عليهم انتقم الله منه ومن خدعهم وغشهم فالله له بالمرصاد ومن أتلف أموالهم أتلفه الله ومن انتهك أعراضهم سلط الله عليه من فجرة بني آدم ومن قهرهم قهره الله في الدنيا والآخرة ومن تكبر عليهم وضعه الله في الدنيا والآخرة ومن عاداهم عاداه الله

فليربأ كل مسلم ومسلمة بنفسه عن أن يكون واقعا في شيء مما ذكرنا فمن وقع فيما ذكرنا قلب الله عليه حياته فيجعل عزه ذلا وغناه فقرا وقوته ضعفا وأمنه خوفا وعافيته مرضا وصلاحه فسادا وملكه خرابا يبابا وذكاءه غباء ورأيه

وبالا وشجاعته جبنا وسخاءه بخلا وحياته نكدا وعمره شقاء وقد جعلنا كتابنا هذا بعنوان:

الله يعاملك كما تعامل عباده

موضحا لما أجملناه في هذه المقدمة فالله الله في حسن عبادته سبحانه قبل كل شيء وفي التعاون مع المسلمين على البر والتقوى ومحاربة الهوى من أجل إرضاء المولى

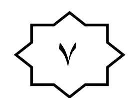
فالله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب عباده وأن يسهل لهم نيله وأن يرزقهم بركته وغنمه كما أسأله سبحانه أن يسهل طباعته ونشره كما أسأله سبحانه أن يخلف بكل خير في الدنيا والآخرة لمن بذل ماله في طباعة هذا الكتاب وأن يصلح ذريته ويعافي بدنه

وأيضا شكر الله لكل من تعاون معي في إعداد هذا السفر المبارك وبارك لهم في وقتهم ونفعهم بالعلم وزادهم من الحلم ووفقهم إلى السداد

وكان الفراغ من إنجاز هذا الكتاب

في ٢٨/١٢/١٤٣٥هـ

محمد بن عبد الله الإمام



قاعدة: قرن الله حقوق عباده بحقوقه سبحانه تعظيما لها

عظم الله حقوق عباده المؤمنين وأوليائه المتقين وحزبه المفلحين حتى قرنها بحقوقه سبحانه ومن ذلك اقتران الزكاة التي هي حق الفقراء والمساكين وغيرهم بأعظم حقه على العباد في اليوم والليلة وهي الصلاة قال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ وهذا الاقتران قد تنوع في القرآن ما بين اقتران إيجاب وإخبار وشرط وترغيب وترهيب وغير ذلك وهذا معلوم لمن تدبر القرآن والسنة والاقتران المذكور ليس محصورا على الفقراء والمساكين بل هو لعموم عباده قال تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء: ٣٦]. والآيات والأحاديث في هذه القاعدة كثيرة.

قاعدة: جعل سبحانه جزاءه لمن يحسن معاملة عباده كجزاء من أحسن عبادته في الجملة

كل ما وعد الله به عباده في الدنيا من زيادة هداية وتوفيق وسداد ورشاد ونصر وتأييد وحفظ ودفاع ورفعة وسعادة وهكذا ما وعد الله به عباده في الآخرة من مغفرة ورحمة ونجاة بسبب حسن عبادته فقد وعد الله بهذا من أحسن معاملة عباده

ولا شك ولا ريب أن حقوقه سبحانه أعظم حتى قال طلق بن حبيب: إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العباد... ولكن أصبحوا قانتين وأمسوا تائبين» ذكره ابن بطال في شرح البخاري (٣/١٢٢).

فالقيام بحقوقه سبحانه أصل للقيام بحقوق عباده ولكنه سبحانه تكرم على عباده أن جعل لحقوقهم مكانة عالية وأجورا كثيرة يدل على هذا أن أطلق عليها أنها أفضل الأعمال وجعل الله في القيام بها الدرجات العالية في الجنة والرضا التام ومغفرته الكاملة كما ستأتي الأحاديث الموضحة لهذا في الباب الثاني من الفصل الأول، والجزاء على القيام بحقه أعظم بل هو أصل الجزاء بحقوق العباد

والمشاهد أن أكثر المحاربة من قبل الأعداء للمسلم هي بسبب فعل الخير الذي فيه نفع للآخرين فالمسلم المقتصر على أركان الإيمان وأركان الإسلام من صلاة وصيام وزكاة وحج فقط لم تكن المحاربة له كمثل الذي يدعو إلى الله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وأيضًا لم تكن المشقة عليه مثل المشقة على من نفعه متعدٍ إلى الآخرين.

قاعدة: جعل الله معاملة عباده بالإحسان إليهم أفضل من نوافل العبادات

الأدلة على صحة هذه القاعدة كثيرة جدا سيأتي ذكر كثير منها في الباب الثاني من هذا الفصل وسأنقل هاهنا كلام بعض أهل العلم في المسألة المذكورة:

قال ابن القيم في مدارج السالكين (١/١٠٦ـ١١١).

فصل

ثم أهل مقام " ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ " لهم في أفضل العبادة وأنفعها وأحقها بالإيثار والتخصيص أربع طرق، فهم في ذلك أربعة أصناف:

الصنف الأول: عندهم أنفع العبادات وأفضلها أشقها على النفوس وأصعبها.

قالوا: لأنه أبعد الأشياء عن هواها، وهو حقيقة التعبد.

الصنف الثاني، قالوا: أفضل العبادات التجرد، والزهد في الدنيا، والتقلل منها غاية الإمكان، واطراح الاهتمام بها، وعدم الاكتراث بكل ما هو منها.

الصنف الثالث: رأوا أن أنفع العبادات وأفضلها: ما كان فيه نفع متعد، فرأوه

أفضل من ذي النفع القاصر، فرأوا خدمة الفقراء، والاشتغال بمصالح الناس وقضاء حوائجهم، ومساعدتهم بالمال والجاه والنفع أفضل، فتصدوا له وعملوا عليه واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم «الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله» رواه أبو يعلى.

واحتجوا بأن عمل العابد قاصر على نفسه، وعمل النفاع متعد إلى الغير، وأين أحدهما من الآخر؟ .

قالوا: ولهذا كان فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب.

قالوا: وقد قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه «**لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم**» وهذا التفضيل إنما هو للنفع المتعدي، واحتجوا بقوله ﷺ «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه، من غير أن ينقص من أجورهم شيء» واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم «**إن الله وملائكته يصلون على معلمي الناس الخير**» وبقوله ﷺ «**إن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض، حتى الحيتان في البحر، والنملة في جحرها**» .

واحتجوا بأن صاحب العبادة إذا مات انقطع عمله، وصاحب النفع لا ينقطع عمله، ما دام نفعه الذي نسب إليه.

واحتجوا بأن الأنبياء إنما بعثوا بالإحسان إلى الخلق وهدايتهم، ونفعهم في معاشهم ومعادهم، لم يبعثوا بالخلوات والانقطاع عن الناس والترهب، ولهذا أنكر النبي صلى الله عليه وسلم على أولئك النفر الذين هموا بالانقطاع للتعبد، وترك مخالطة الناس، ورأى هؤلاء التفرق في أمر الله، ونفع عباده، والإحسان إليهم، أفضل من الجمعية عليه بدون ذلك.

الصنف الرابع، قالوا: إن أفضل العبادة العمل على مرضاة الرب في كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته، ...

وقال ابن رجب في لطائف المعارف (ص/٥١٥ـ٥١٦): فخير الناس أنفعهم للناس وأصبرهم على أذى الناس كما وصف الله المتقين بذلك في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٤] ...

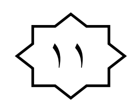
والإحسان إلى الرفقة في السفر أفضل من العبادة القاصرة لا سيما إن احتاج العابد إلى خدمة إخوانه».

فائدة: قال عبد الملك بن مروان: أحق الناس بالإحسان ـ أي إلى الناس ـ من أحسن الله إليه. التمثيل والمحاضرة (ص/١٣٨) للثعالبي.

قاعدة: يشترط في معاملة العباد بعضهم بعضا بالإحسان شرطان:

الأول: الإخلاص لله في الإحسان إلى المسلمين وغيرهم

والثاني الموافقة لرسول الله ﷺ.



وهذان الشرطان عليهما أئمة السلف والخلف قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (١٧٧/٢٨): «فقد أخبر الله تعالى أنه من أخلص قصده لله وكان محسنا في عمله فإنه مستحق للثواب سالم من العقاب. ولهذا كان أئمة السلف يجمعون هذين الأصلين؛ كقول الفضيل ابن عياض في قوله تعالى: ﴿ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ ﴾ قال: أخلصه وأصوبه فقيل: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل. وإذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا. والخالص: أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة».

قلت: ومن الأدلة على القسم الأول: الإخلاص قوله تعالى: ﴿ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ٨ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ٩ ﴾[الانسان: ٨، ٩]. ولنضرب مثالا عظيما للإخلاص في معاملة العباد:

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا المبيت إلى غار، فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل، فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فقال رجل منهم: اللَّهُمَّ كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلا، ولا مالا فنأى بي في طلب شيء يوما، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما، فوجدتهما نائمين وكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا، فلبثت والقدح على يدي، أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا، فشربا غبوقهما، اللَّهُمَّ إن كنت فعلت ذلك ابتغاء

وجهك، ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج "، قال النبيﷺ: " وقال الآخر: اللَّهُمَّ كانت لي بنت عم، كانت أحب الناس إلي، فأردتها عن نفسها، فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة من السنين، فجاءتني، فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت حتى إذا قدرت عليها، قالت: لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه، فتحرجت من الوقوع عليها، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي، وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللَّهُمَّ إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها "، قال النبيﷺ: " وقال الثالث: اللَّهُمَّ إني استأجرت أجراء، فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله أد إلي أجري، فقلت له: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي، فقلت: إني لا أستهزئ بك، فأخذه كله، فاستاقه، فلم يترك منه شيئا، اللَّهُمَّ فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، فخرجوا يمشون " أخرجه البخاري ومسلم (٢٧٤٣). وقد جاء الحديث عن صحابة آخرين أخرجه أحمد (١٤٢/٣-١٤٣) والطبراني في الدعاء (رقم/١٩٢) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال الحافظ في الفتح (٥١٠/٦): إسناده صحيح. وأخرجه أحمد أيضا (٢٧٤/٤-٢٧٥) من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو صحيح، وأخرجه الطبراني في الدعاء (٨٦٩/٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحسنه الحافظ في الفتح (٥١٠/٦).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان أخير الناس للمسكين جعفر بن أبي طالب، كان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته، حتى إن كان ليخرج إلينا العكة التي ليس فيها شيء، فنشقها فنلعق ما فيها» أخرجه البخاري (رقم/٣٧٠٨).

وعن أبي عون قال: كان أهل الخير إذا التقوا يوصي بعضهم بعضا بثلاث، وإذا غابوا كتب بعضهم إلى بعض «من عمل لآخرته كفاه الله دنياه، ومن أصلح فيما بينه وبين الله كفاه الله الناس، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته» رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٦٢/٧) وهو صحيح

أما الموافقة لرسول الله ﷺ فالمراد بها الأخذ بهديه ﷺ القولي والعملي في معاملة المسلمين وخصوصا عند الخصومات والنزاع قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء : ٦٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (٣٧/٧-٣٨): ومعلوم باتفاق المسلمين أنه يجب " تحكيم الرسول " في كل ما شجر بين الناس في أمر دينهم ودنياهم في أصول دينهم وفروعه».

وقال تعالى: ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء : ٥٩].

قال ابن حزم في الإحكام في أصول الأحكام (٨٨/١): والبرهان على أن المراد بهذا الرد إنما هو إلى القرآن والخبر عن رسول الله ﷺ لأن الأمة مجمعة على أن هذا الخطاب متوجه إلينا وإلى كل من يخلق ويركب روحه في جسده إلى يوم

القيامة من الجنة والناس كتوجهه إلى من كان على عهد رسول الله ﷺ وكل من أتى بعده عليه السلام».

وقد نقلنا مزيدًا من الإجماع في هذه المسألة عند هاتين الآيتين في كتابنا إجماعات المفسرين ولا يخفى أن الإتباع لسيد الأولين والآخرين على أنواع والذي يهمنا هنا هو اتباع الرسول ﷺ في معاملة المسلمين إتباعا ظاهرا وباطنا وذلك بأن يوافق الرسول في الفعل والقول وفي القصد من عطاء ومنع وصفح وعفو وعدل وفضل وغير ذلك فالمعاملة مع المسلمين إذا خلت من اتباع النبي عليه السلام كان فيها من النقص والخلل بقدر المخالفة له ﷺ ومن المخالفات ما يؤدي إلى بطلان الإحسان، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ٢٦٤]. فدلت هذه الآية على أن معاملة المسلمين بالمعاصي قد تكون سببا لبطلان ما يقابلها من الإحسان بحسب المعاصي المقترفة قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما الصحابة وأهل السنة والجماعة فعلى أن أهل الكبائر يخرجون من النار ويشفع فيهم وأن الكبيرة الواحدة لا تحبط جميع الحسنات؛ ولكن قد يحبط ما يقابلها عند أكثر أهل السنة ولا يحبط جميع الحسنات إلا الكفر كما لا يحبط جميع السيئات إلا التوبة». نقلا من مجموع الفتاوى (١٠/٣٢١ـ٣٢٢)

قاعدة: قمة الخيرية في المسلم لا تتحقق إلا بإتمانهم على الدماء والأعراض والأموال

عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه**» رواه البخاري (رقم/١٠) ومسلم (رقم/٤٠) ولفظه:

عن أبي الخير أنه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص يقول إن رجلا سأل رسول الله ﷺ أي المسلمين خير؟ قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده) .

قال الحافظ في فتح الباري (٥٤/١) «فاشتملت هاتان الجملتان على جوامع من معاني الحكم والأحكام»

وقال (٣١٩/١١): «وهذا الحديث من جوامع الكلم التي أوتيها ﷺ».

قلت: لا يختلف علماء الحديث والفقه والبلاغة أن هذا الحديث من جوامع الكلم التي أعطيها رسول الله ﷺ ومفاد الحديث عظيم وأن من بلغت به خيريته في المسلمين إلى أن جعلوه مؤتمنا على أنفسهم من أنفسهم وعلى أموالهم من أنفسهم فمعاملته لهم المسك والعنبر وينطبق عليه قول الرسول ﷺ: «**مثل المؤمن مثل النحلة لا تأكل إلا طيبا ولا تضع إلا طيبا**» أخرجه ابن حبان (رقم/٢٤٧) وابن عساكر (٤٣/٢٠) ومثل النخلة كل شيء فيها ينتفع به.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم** » رواه أحمد والنسائي والترمذي واللفظ له .

وعن فضالة بن عبيد قال: قال رسول الله ﷺ : «**في حجة الوداع الا أخبركم بالمؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم والمسلم من سلم الناس من لسانه**

ويده والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب » رواه أحمد

عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «**مثل المؤمن مثل النخلة ما أخذت منها من شيء ينفعك**» أخرجه الطبراني (٤١١/١٢) وهو حديث صحيح. فالله الله في التكامل في الخيرية.

قاعدة: كل نفع للمسلمين تضاعف حسناته كما تضاعف حسنات العبادات

قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة: ٢٦١].

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف**» أخرجه البخاري (رقم/١٨٩٤، ١٩٠٤، ٥٩٢٧، ٧٤٩٢، ٧٥٣٨) ومسلم (رقم/١١٥١).

قلت: الآية بينت مضاعفة الصدقة وهي تؤدى لنفع الآخرين والحديث المذكور فيه عموم كل الأعمال فيدخل في العموم أعمال الخير في نفع الخلق.

وعن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ قال جاء رجل بناقة مخطومة فقال هذه في سبيل الله فقال رسول الله ﷺ: «**لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة**». رواه مسلم (رقم/١٨٩٢)

قال السعدي في تيسير اللطيف (٣٣٧/١): ومن أسباب المضاعفة أن يكون العمل فيه نفع للمسلمين وغناء، وذلك كالجهاد في سبيل الله، الجهاد بالحجة

والبرهان، وبالسيف والسنان... ويدخل في هذا سلوك طريق التعليم والتعلم للعلوم الشرعية وما يعين عليها»

وقال أيضًا في بهجة قلوب الأبرار (ص/١٢٠) وهو يشرح حديث: «الصيام لي»: في هذا الأصل الجامع أن جميع الأعمال الصالحة من أقوال وأفعال ظاهرة أو باطنة سواء تعلقت بحق الله أو بحقوق العباد مضاعفة من عشر إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة».

قاعدة: كل من دخل في الإسلام وكانت له أعمال خيرية انتفع بها بعد إسلامه

عن عروة بن الزبير أن حكيم بن حزام رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أخبره، أنه قال لرسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: أي رسول الله، أرأيت أمورا كنت أتحنث[1]بها في الجاهلية، من صدقة، أو عتاقة، أو صلة رحم، أفيها أجر؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أسلمت على ما أسلفت من خير**» أخرجه مسلم (رقم/١٢٣).

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: « **إذا أسلم العبد فحسن إسلامه، يُكَفِّر الله عنه كل سيئة كان زلفها، وكان بعد ذلك القصاص: الحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف، والسيئة بمثلها إلا أن يتجاوز الله عنها**» رواه البخاري معلقا (رقم/٤١).

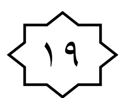
قلت: الحديث قد جاء عن صحابة آخرين وقد شرحه أهل العلم ومن ذلك:

قال ابن رجب الحنبلي كما في الجامع لتفسير الإمام ابن رجب (٤٥/٢) وهو يشرح حديث حكيم المذكور: وهذا يدل على أن حسنات الكافر إذا أسلم يثاب عليها كما دل عليه حديث أبي سعيد المتقدم.

وقد قيل: إن سيئاته في الشرك وغيره تبدل حسنات، ويثاب عليها، أخذا من قوله تعالى في حق التائبين: (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات)

وقال القرطبي في التفسير (١٦٢/٨): (أسلمت على ما أسلفت من خير) قلنا قوله: (أسلمت على ما أسلفت من خير) مخالف ظاهره للأصول، لأن الكافر لا يصح منه التقرب لله تعالى فيكون مثابا على طاعته، لأن من شرط المتقرب أن

[1]- أي: أتعبد.



يكون عارفا بالمتقرب إليه، فإذا عدم الشرط انتفى صحة المشروط. فكان المعنى في الحديث: إنك اكتسبت طباعا جميلة في الجاهلية أكسبتك عادة جميلة في الإسلام. وذلك أن حكيما رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عاش مائة وعشرين سنة، ستين في الإسلام وستين في الجاهلية، فأعتق في الجاهلية مائة رقبة وحمل على مائة بعير؟ وكذلك فعل في الإسلام. وهذا واضح. وقد قيل: لا يبعد في كرم الله أن يثيبه على فعله ذلك بالإسلام، كما يسقط عنه ما ارتكبه في حال كفره من الآثام. وإنما لا يثاب من لم يسلم ولا تاب، ومات كافرا. وهذا ظاهر الحديث. وهو الصحيح إن شاء الله».

قاعدة: إذا تزاحمت أفعال الخير في نفع العباد وغيره قدم ما كان واجبًا أو أعظم نفعًا

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال له: «**إن لجسدك عليك حقا، وإن لعينك عليك حقا وإن لزورك**[٢]**عليك حقا وإن لزوجك عليك حقا**» أخرجه البخاري (رقم/٦١٣٤) ومسلم (رقم/١١٥٩).

وعن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال لأبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إن لربك عليك حقا ولنفسك عليك حقا ولأهلك عليك حقا فأعط كل ذي حق حقه**» قال رسول الله ﷺ: «صدق سلمان» أخرجه البخاري (رقم/٦١٣٩).

قال ابن الملقن في التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٤٥٤/١٣): «**وحق الجسم أن يُترك فيه من القوة ما يستديم به العمل؛ لأنه إذا أجهد نفسه قطعها عن العبادة وفترت**».

٢

قلت: إذا تزاحمت العبادات وأفعال الخير فالمطلوب أن يقدم ما ظهر رجحان تقديمه على غيره.

قال السعدي في القواعد والأصول (ص/٨٣ـ٨٤): القاعدة الثالثة والثلاثون: إذا تزاحمت المصالح قدم الأعلى منها فيقدم الواجب على المستحب، والراجح من الأمرين على المرجوح ...

وكذلك يجب تقديم من تجب نفقته على من تستحب وعلى الصدقة المستحبة ويجب تقديم من تجب طاعته على من تستحب وأمثلة تقديم الواجب على المستحب كثيرة جدا ومن أمثلة تقديم أعلى الواجبين طاعة المرأة لزوجها مقدمة على طاعة الأبوين»

جماع الخير كله في حسن التعامل بالصبر و السماحة

عن جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سئل رسول الله ﷺ عن الإيمان قال الصبر والسماحة. أخرجه ابن أبي شيبة في الإيمان (٤٣) وأبو يعلى (رقم/١٨٥٤) وصححه الألباني في تحقيقه لكتاب "الإيمان" لابن أبي شيبة (ص/٢٥)

قال ابن القيم في مدارج السالكين (٢/١٦٠): «وهذا من أجمع الكلام وأعظمه برهانا وأوعبه لمقامات الإيمان من أولها إلى آخرها فإن النفس يراد منها شيئان : بذل ما أمرت به وإعطاؤه فالحامل عليه : السماحة وترك ما نهيت عنه والبعد منه فالحامل عليه : الصبر».

قلت: أما الصبر فتجد الكلام على أجله وأكمله وأوسعه في رسالتنا صبر المرسلين والنبيين والصديقين وأما السماحة ففي كتابنا العدل في الأموال قوام العالمين.

ملاك الخير كله أن توطن نفسك على العمل بهذا الحديث

عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن؟ فقال أبو هريرة: فقلت: أنا يا رسول الله، فأخذ بيدي فعد خمسًا وقال: اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما، ولا تكثر الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب**». أخرجه الإمام أحمد (٣١٠/٢) والترمذي (رقم/٢٣٠٥) واللفظ له، وهو في الصحيحة (رقم/٩٣٠) وأخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق (ص/٣٩) بلفظ: «**كن ورعًا تكن أعبد الناس وكن قنعًا تكن أشكر الناس**» قال المباركفوري في تحفة الأحوذي (٤٨٧/٦): «وذا من جوامع الكلم».

قلت: هذه الكلمات الجوامع للخير بحذافيره كثير منها في حقوق المسلمين ومن فقه السلف لهذه الحقوق ما قاله الذهبي في السير (٢٢٢/٣) وكتب رجلا إلى ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن اكتب إلي بالعلم كله، فكتب إليه: إن العلم كثير ولكن إن استطعت أن تلقى الله خفيف الظهر من دماء الناس خميص البطن من أموالهم كاف اللسان عن أعراضهم لازما لأمر جماعتهم فافعل.

الفصل الأول

إحسان الله لمن يحسن معاملة عباده

إن معرفة المسلمين لما جاءت به الشريعة الإسلامية من حسن معاملة المسلمين بعضهم بعضا لا تقل أهميتها عن معرفتهم بحقوق ربهم التي لا نجاة لهم إلا بالقيام بها فكما أنه يجب عليهم وجوبا حتميا معرفة حقوق الله لتؤدى على الوجه الذي يرضيه سبحانه فكذلك حقوق العبادة في الجملة تجب معرفتها والتفقه فيها لتؤدى على الوجه الذي تحقق به مصالح العباد وهذا الفصل مرغوب ومحبوب من عنوانه فكيف بمضمونه لأن جميع المسلمين يطمعون أيما طمع في إحسان الله إليهم فأحببنا أن نبين لهم عظيم إحسان الله إليهم وأوسعه وأكمله وأفضله لمن أحسن إلى عباده فهيا بنا إلى الشروع في معرفة هذا الفصل:

الباب الأول: أصول وضوابط

الأصل الأول: أصل عظيم وهو: أن الله قد أعطى الله كل ذي حق حقه

عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول في خطبته عام الفتح: «إن الله قد أعطى كل ذي حقه حقه». رواه أبو داود (رقم/٢٨٧٠) وابن ماجه (رقم/٢٠٠٧) وأحمد (رقم /٢٢٢٩٤).

وقد جاء هذا الحديث عن صحابة آخرين ومنهم عمرو بن خارجة عند أحمد (١٨٦/٤) وأنس بن مالك عند البيهقي (٢٦٤/٦-٢٦٥) وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.
قال الشافعي في الأم (١١٤/٤) في هذا الحديث: إنه حديث متواتر وجدنا أهل

الفتيا ومن حفظنها عنهم من أهل العلم بالمغازي وغيرهم لا يختلفون أن النبي ﷺ قاله عام الفتح.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة النبوية (٢٠٣/٤) في هذا الحديث: رواه أهل السنن كأبي داود وغيره ورواه أهل السير واتفقت الأمة عليه».

ومن الأحاديث المُفَصِّلة لبعض ما شمله حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال له: إن لجسدك عليك حقا وإن لعينك عليك حقا وإن لزورك عليك حقا وإن لزوجك عليك حقا». أخرجه البخاري (رقم/٦١٣٤) ومسلم (رقم/١١٥٩).

وعن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال لأبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن لربك عليك حقا ولنفسك عليك حقا ولأهلك عليك حقا فأعط كل ذي حق حقه فقال رسول الله ﷺ: صدق سلمان. أ خرجه البخاري (رقم/٦١٣٩).

وقال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٢٧٤/٢٥) عند حديث عبد الله بن عمرو: «فبين النبي ﷺ أن عليك أمورا واجبة من حق النفس والأهل والزائرين فليس لك أن تفعل ما يشغلك عن أداء هذه الحقوق الواجبة بل آت كل ذي حق حقه».

وقال أيضًا في المصدر نفسه (٢٦٦/٢٨) عند حديث «**إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه**»: وهذا القسم يتناول الولاة والرعية فعلى كل منهما: أن يؤدي إلى الآخر ما يجب أداؤه إليه فعلى ذي السلطان ونوابه في العطاء أن يؤتوا كل ذي حق حقه. وعلى جباة الأموال كأهل الديوان أن يؤدوا إلى ذي السلطان ما يجب

إيتاؤه إليه؛ كذلك على الرعية الذين تجب عليهم الحقوق؛ وليس للرعية أن يطلبوا من ولاة الأموال ما لا يستحقونه»

ونقل الشنقيطي في العذب النمير (٢٣٨/٥) قول بعض أهل العلم في هذا الحديث: بيّن النبي فيه أن الله أعطى كل ذي حق حَقَّهُ، قالوا: نص هذا الحديث على أَنَّهُ مَا بَقِيَ لصاحب حقٍّ حَقٌّ أبداً إلا أعطاه الله إِيَّاهُ».

قلت: فعلى كل مسلم ومسلمة أن يعتقد اعتقدا جازما باشتمال الشريعة على جميع حقوق العباد النافعة لهم كيف لا وهي من عند القائل: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك: ١٤]. فمن أعلم من الله بمصالح عباده في الدنيا والآخرة فكل مسلم ومسلمة علم ما قلنا فلن يذهب أبدا يبحث عن حقوقه من قبل المخلوق بل يقول قد أعطاني حقوقي من هو أرحم بي من نفسي ومن الناس أجمعين ومن هو أعلم بمصالحي من الناس أجمعين ومن هو أحكم في قضائه وقدره وتشريعه من الناس أجمعين.

الأصل الثاني: حفظ الله لحقوق عباده واستمرارية ذلك إلى قيام الساعة

المعلوم من الإسلام بالضرورة حفظ الله للقرآن الكريم وللسنة المطهرة إلى قيام الساعة قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩] والسنة ذكر بإجماع أهل العلم والحفظ لهما حفظ للألفاظ والمعاني والحفظ للمعاني تابع لحفظ الألفاظ لأن بقاء اللفظ بقاء المعنى وهذا الحفظ متحقق في كل عصر منذ أن جاء الإسلام إلى ساعتنا هذه وهو باق ما بقيت الأمة الإسلامية فليطمئن كل المسلمين على دوام بقاء حقوقهم في كل العصور فلن يقدر أهل السموات والأرض على تغيير هذه الحقوق ولا على إزالتها لأن الله قد

حفظ بقاءها. ومعلوم أن القرآن والسنة قد اشتملا على جميع حقوق العباد العامة والخاصة في الحال والمآل وفي العسر واليسر والحرب والسلم ولا يمتري في هذا الحفظ مسلم.

الأصل الثالث: إيصال النفع إلى العباد فرض فرضه الله وخير أحبه الله

سبق في الأصل الأول أن الله قد أعطى كل ذي حق حقه ومن أجل أن تصل الحقوق إلى مستحقيها فرض الله ذلك وأوجبه على عباده ورغبهم ورهبهم

عن شداد بن أوس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: اثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ، قال: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته، فليرح ذبيحته**» رواه مسلم (رقم/١٩٥٥).

قلت: هذا الحديث من جوامع الكلم التي أوتيها النبيﷺ وهو أيضًا من الأحاديث التي عليها مدار الإسلام لما تضمنه من القواعد والأحكام التي تعم شريعة الإسلام.

قال النووي في شرح مسلم (٩٠/١٣): وهذا الحديث من الأحاديث الجامعة لقواعد الإسلام والله أعلم».

وقال ابن دقيق العيد (ص/٥٢) هذا الحديث من الأحاديث الجامعة لقواعد كثيرة.

وقال المناوي في فيض القدير (٢٤٦/٢) قالوا: وهذا الحديث من قواعد الدين».

وقال الهيثمي في الفتح المبين في شرح الأربعين (ص/١٦٢): وهو قاعدة الدين العامة فهو متضمن لجميعه.

قلت: الشاهد من الحديث قوله ﷺ: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء» فالحديث قاعدة عامة في الإحسان إلى العباد بمقتضى الشريعة فلم يأذن الله لأحدٍ من عباده أن يتصرف في أحد من عباده إلا بالإحسان فيا ويل من أساء إلى أحد من عباد الله. قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في جامع المسائل (٣٤/٦): ففي هذا الحديث أن الإحسان واجب على كل حال، حتى في حال إزهاق النفوس، ناطقها وبهيمتها، فَعَلَّمه أن يحسن القتلة للآدميين والذبحة للبهائم. والإحسان الواجب هو فعل الحسنات.

الأصل الرابع: الأصل الأكبر في حسن معاملة المسلم أن يحب لهم ما يحبه لنفسه

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» أخرجه البخاري (رقم/١٣) ومسلم (رقم/٤٥).

قلت: لا يختلف أهل العلم أن حديث أنس هذا من جوامع الكلم التي أعطاها الله رسوله ﷺ ولا يختلفون أنه أحد الأحاديث التي عليها مدار المعاملة الحسنة بين المسلمين.

قال أبو داود السجستاني: كتبت عن رسول الله خمسمائة ألف حديث، انتخبت منها ما ضمنته كتاب " السنن "، فذكرت الصحيح وما يشبهه ويقاربه، ويكفي الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث: أحدهما: " الأعمال بالنيات "

والثاني: " الحلال بين " والثالث: " من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه "، والرابع: " لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يرضى لأخيه ما يرضاه لنفسه ". كشف المشكل لابن الجوزي (١/٨٥ـ٨٦)

وفي حديث عبد الله بن عمرو عند مسلم (رقم/١٨٤٤) بلفظ: «فمن أحب أن يزحزح عن النار، ويدخل الجنة، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه».

قال النووي في شرح مسلم (١٢/٢٣٣): قوله ﷺ: «**وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه**» هذا من جوامع كلمه ﷺ وبديع حكمه وهذه قاعدة مهمة فينبغي الاعتناء بها وأن الإنسان يلزم أن لا يفعل مع الناس إلا ما يحب أن يفعلوه معه»

قلت: خلاصة كلام أهل العلم في مضمون حديث أنس وأمثاله أنه جامع لمحاسن الأخلاق التي تعد ثلث شريعة الإسلام وأما معنى هذا الحديث فهو أن يعامل غيره بما يحب يعامله غير به والمتعامل بهذا يتلقى حسن المعاملة له ممن منه الإحسان كله وبيده الخير كله وإليه يرجع الأمر كله وأيضًا يفيض الله له من يحسن معاملته كما أحسن معاملة عباده فلو تدبر المسلمون هذا الحديث وفهموه حق فهمه لكانوا سادة في كل خير وقادة في كل بر وروادا في كل إصلاح ولكن... ولقد بلغ الحرص عند المتفقهين في هذا الحديث وأمثاله مبلغا عجبا

قال ابن الجوزي في "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم" (١٣/ ٣٨٨) في ترجمة علي بن محمد أبي الحسن المزين الصغير:

«أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامري، قال: أخبرنا أبو سعد بن أبي صادق، قال: أخبرنا أبو عبد الله بن باكويه، أخبرنا أبو عبد الله بن خفيف، قال: سمعت أبا الحسن المزين بمكة،كنت في بادية تبوك فتقدمت إلى بئر لأستقي منها فزلقت رجلي فوقعت في جوف البئر فرأيت في جوف البئر زاوية واسعة فأصلحت موضعا وجلست عليه، وقلت: إن كان مني شيء لا أفسد الماء على الناس، وطابت نفسي وسكن قلبي، فبينا أنا قاعد إذا بخشخشة، فتأملت فإذا أنا بأفعى تنزل علي، فراجعت نفسي، فإذا هي ساكنة علي، فنزل فدار بي وأنا هادئ السر لا تضطرب على نفسي ثم لف ذنبه وأخرجني من البئر وحلل عني ذنبه، فلا أدري أرض ابتلعته أو سماء رفعته، ثم قمت ومشيت».

الأصل الخامس: الأصل في معاملة العباد بعضهم بعضا بالرفق

عن عائشة زوج النبي ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه) رواه مسلم وابن حبان والبيهقي.

وقد بلغ الحث على الرفق حتى شمل الرفق بالحيوان

عن شداد بن أوس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن الرسول ﷺ قال: إذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح. قال الألباني في صحيح الترغيب (٦٣٠/١) هذا الحديث من الأحاديث الجامعة لقاعدة هامة من قواعد الإسلام ألا وهو الرفق بالحيوان.

قلت: وفيه قاعدة أعظم مما ذكر ألا وهي: الرفق بالإنسان عمومًا وبأهل الإيمان خصوصا من باب أولى وهذا الرفق ليس موكولا إلى الناس بل هو

مضبوط بضوابط شرعية قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في جامع المسائل (٣٩٠/٤): فلابد من القتل الشرعي، ولكن الإحسان فيه يكون بأن يقتل أحسن القتلات».

وقال ابن دقيق العيد في شرح الأربعين النووية (٥٢): قوله: «فأحسنوا القتلة» عام في القتل من الذبائح والقتل قصاصا أو في حد ونحو ذلك».

قلت: وأصل الأدلة في الرفق حديث عائشة المتقدم و الأدلة على الرفق كثيرة وسيأتي سرد جملة منها في الباب الثاني من هذا الفصل والأحاديث التي فيها شؤم الحرمان من الرفق في الباب الثاني من الفصل الثاني.

الأصل السادس: حسن معاملة العباد بعضهم بعضا إما عدلا و إما فضلا

لا تخرج معاملة العباد الطيبة لبعضهم بعضا عن أن تكون عدلا أو فضلا أو هما معا والأدلة من القرآن والسنة على هذا القاعدة كثيرة وتكون عدلا ابتداء كمن يبذل المعاملة للناس بالعدل والحق، قال الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ ﴾ [النساء : ٢٩] وهذا التراض مجمع عليه عند أهل العلم كما أوضحنا هذا في كتابنا العدل في الأموال وهذا التراضي يسميه شيخ الإسلام لابن تيمية ركن العقد الوثيق قال رحمه الله: فالعقود ركنها الوثيق وجود التراضي من الطرفين ولابد من وضوح ذلك حال التعاقد وضوحا قاطعا للنزاع والمخاصمة».

وتكون عدلا مجازاة قال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾ [المائدة: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ﴾ [النحل: ١٢٦] .

وقال تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ [الشورى: ٤٠] وتكون فضلا ابتداء وهذا باب واسع شامل لكل من يبتدئ الناس بالنفع لهم الخيري عموما وخصوصا يبتغي الأجر من الله وتكون فضلا مجازاة وأمثلة هذا كثيرة ومن ذلك قوله: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ وقوله: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾ [النحل: ١٢٦] وغير ذلك من الأدلة.

الأصل السابع: معاملة المسلم لأخيه مبنية على الصدق و البيان

عن حكيم بن حزام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما**». أخرجه البخاري (رقم/٢٠٧٩) ومسلم (١٥٣٢)

قلت: هذا الحديث العظيم قد جاء عن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو وأبي هريرة وسمرة بن جندب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وقد عد ابن عبد البر والقاضي عياض والسعدي هذا الحديث أصلا من أصول الدين في البيوع.

وقال السعدي في بهجة قلوب الأبرار (ص/١٢٨): هذا الحديث أصل في بيان المعاملات النافعة والمعاملات الضارة وأن الفاصل بين النوعين: الصدق والبيان

.

قلت: وهو كذلك وأما شرح الحديث فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في الفتاوى الكبرى (١٥١/٦): «فالصدق يعم الصدق فيما يخبر به عن الماضي والحاضر والمستقبل، والبيان يعم بيان صفات المبيع ومنافعه، وكذلك الكذب والكتمان، وإذا كان الصدق والبيان واجبين في المعاملة موجبين للبركة. والكذب والكتمان محرمين ماحقين للبركة فمعلوم أن كثيرا من الحيل أو أكثرها لا يتم إلا بوقوع الكذب، أو الكتمان أو تجويزه، وأنها مع وجوب الصدق، أو وقوعه لا تتم».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضا كما في مجموع الفتاوى (٦٦/٢٨): «من المتولين من يكون بمنزلة الشاهد المؤتمن؛ والمطلوب منه الصدق؛ مثل الشهود عند الحاكم؛ ومثل صاحب الديوان الذي وظيفته أن يكتب المستخرج والمصروف؛ والنقيب والعريف الذي وظيفته إخبار ذي الأمر بالأحوال. ومنهم من يكون بمنزلة الأمين المطاع؛ والمطلوب منه العدل مثل الأمير والحاكم والمحتسب وبالصدق في كل الأخبار والعدل في الإنشاء من الأقوال والأعمال: تصلح جميع الأحوال وهما قرينان كما قال تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾».

السر فيمن أحسن معاملة العباد نبل نفسه وشرفها

قال ابن القيم في الفوائد (ص/٣٤٠-٣٤١): فأصل الخير كله بتوفيق الله ومشيئته وشرف النفس ونبلها وكبرها... فالنفوس الشريفة لا ترضى من الأشياء إلا بأعلاها وأفضلها وأحمدها عاقبة... فالنفس الشريفة العلية لا ترضى بالظلم ولا بالفواحش ولا بالسرقة والخيانة لأنها أكبر من ذلك وأجل».

قلت: اعلم يا عبد الله أن الله فطر جميع الأنفس البشرية على الإسلام وجعل بعضها مهيأة للخير أكثر وأمدها بذلك قال تعالى ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ [الشمس: ٧، ٨].

وقال ابن القيم أيضا في مدارج السالكين (٢/ ١٩٥)

«فاعلم أن أسباب الخير ثلاثة: الإيجاد، والإعداد، والإمداد. فهذه هي الخيرات وأسبابها.

فإيجاد السبب خير. وهو إلى الله. وإعداده خير. وهو إليه أيضا. وإمداده خير. وهو إليه أيضا.

فإذا لم يحدث فيه إعداد ولا إمداد حصل فيه الشر بسبب هذا العدم الذي ليس إلى الفاعل. وإنما إليه ضده».

فأنفس المؤمنين التي تربع الإسلام على قلوبهم بفعل الإحسان أكثر زكاة وصدورهم أعظم انشراحا بذلك والقلب أكمل طمأنينة به وعقولهم أكثر استنارة بسببه.

قال بكر بن عبد الله المزني: إن عرض لك إبليس بأن لك فضلا على أحد من أهل الإسلام فانظر فإن كان أكبر منك فقل قد سبقني هذا بالإيمان والعمل الصالح فهو خير مني وإن كان أصغر منك فقل قد سبقت هذا بالمعاصي والذنوب واستوجبت العقوبة فهو خير مني. فإنك لا ترى أحدا من أهل الإسلام إلا أكبر منك أو أصغر منك قال وإن رأيت إخوانك المسلمين من يكرمونك ويعظمونك ويصلونك فقل أنت هذا فضل أخذوا به وإن رأيت منهم جفاء

وانقباضا فقل هذا ذنب أحدثته. أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/٢٢٧) وابن أبي الدنيا في مداراة الناس (رقم/٥١)

وقال مطرف بن عبد الله: ما مدحني أحد قط إلا تصاغرت إلى نفسي. أخرجه ابن الجوزي في صفة الصفوة (٣/٢٢٣) فهذه الأنفس ينطبق عليها قول الرسول ﷺ: «وطيب النفس من النعيم» رواه أحمد وابن ماجة فالأنفس الطيبة لا تشبع من فعل الخير فالسر في أن بعض النفوس ترغب في الخير وتنشط له ما لا تنشط للشر هو أن الله أمدها بحب الصلاح والإصلاح.

قلت: انظر ما أكرم هذه النفس وما أصفاها وأنقاها من الشوائب والدغل.

الباب الثاني

سرد الأدلة على حسن معاملة الله لمن أحسن معاملة عباده

أكتفي هنا بسرد الأحاديث الدالة على حسن معاملة الله لمن أحسن معاملة عباده وقد أردفناها بما تيسر من شرحها ليتم الانتفاع بها فشمر في قراءتها واجمع قلبك على تدبرها واعزم على العمل بمقتضاها لتكون أحق بها وأهلها فدونك إياها، وقبل أن أسرد الأحاديث أذكر أجل حديث في هذا الباب وهو ما رواه مسلم (رقم/٢٦٩٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما، سهل الله له به طريقا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله، لم يسرع به نسبه**»

قال النووي في شرح مسلم (٢١/١٧): «وهو حديث عظيم جامع لأنواع من العلوم والقواعد والآداب».

وكذا قال ابن دقيق العيد في شرح الأربعين (٩٤) وقال فيصل آل مبارك في تطريز رياض الصالحين (١٨٢): هذا حديث عظيم جليل جامع لأنواع من العلوم والقواعد والآداب والفضائل والفوائد والأحكام.

قلت: هذا الحديث من جوامع كلمه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ومن الأحاديث الجامعة لأنواع من العلوم المهمة وقد رأيت تجزئة هذا الحديث ليسهل شرحه جملة جملة

الحديث الأول:

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة رواه مسلم (رقم/٢٦٩٩).

بل أخرج البخاري (رقم/٢٤٤٢) ومسلم (رقم/٢٥٨٠) عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال «**ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله كربة من كرب يوم القيامة**».

وقد جاء الحديث عن كعب بن عجرة عند الطبراني في الكبير (١٥٨/١٩) والأوسط (٥٦٤٩) وعن مسلمة بن مخلد عند أحمد (١٠٤/٤).

قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٢٨٦/٢): والكربة هي الشدة العظيمة التي توقع صاحبها في الكرب وتنفيسها أن يخفف عنه منها مأخوذ من تنفيس الخناق كأنه يرخى له الخناق حتى يأخذ نفسا والتفريج أعظم من ذلك وهو أن يزيل عنه الكربة فتنفرج عنه كربته ويزول همه وغمه فجزاء التنفيس التنفيس وجزاء التفريج التفريج...

قال: وقوله: «**كربة من كرب يوم القيامة**» قيل لأن كرب الدنيا بالنسبة إلى كرب الآخرة كلا شيء فادخر الله جزاء تنفيس الكرب عنده لينفس به كرب الآخرة.

قلت: ادخار الله جزاء تفريج كرب المسلم عنده ليوم القيامة يوم الحسرة والندامة والخزي والملامة والعذاب والإهانة كرم رباني محض وإلا ماذا يقع نفع الكربة التي فرجها العبد عن أخيه في الدنيا بجانب تفريج الله كربته يوم القيامة فمعرفة هذا الفضل العظيم من الله لعباده موقوف على معرفة أحوال الناس العصيبة يوم القيامة وقد أوضح هذه الأحوال القرآن الكريم في غير ما آية ولو لم يكن من ذلك إلا قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [عبس : ٣٣، ٣٧].

والأحاديث في معرفة اشتداد الكرب على العباد يوم القيامة كثيرة وواضحة من سمع بها فلا يسعه إلا أن يسعى في فكاك نفسه وإنقاذها ما أمكن فدونك شيئا منها:

عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول اللهﷺ **يجمع** الله الأولين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنوا الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس بعضهم لبعض ألا ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم. رواه البخاري (رقم/٤٧١٢) ومسلم (رقم/١٩٤).

وعن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا عن النبيﷺ قال: «**تحشرون حفاة عراة غرلا قالت فقلت يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض قال الأمر أشد من أن يهمهم ذاك**». رواه البخاري (رقم/٦٥٢٧) ومسلم (رقم/٢٨٥٩).

وعن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبيﷺ في قوله يوم يقوم الناس لرب العالمين قال: «يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه». رواه البخاري (رقم/٦٥٣١) ومسلم (رقم/٢٨٦٢)

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسول اللهﷺ قال: «**يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعا، ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم**» رواه البخاري (رقم/٦٥٣٢) ومسلم (رقم/٢٨٦٣)

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبيﷺ قال: تدني الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون قدر ميل فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه ومنهم من يلجمه إلجاما. أخرجه مسلم (رقم/٢٨٦٤).

الحديث الثاني: عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبيﷺ قال: من يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة. رواه مسلم (رقم/٢٦٩٩).

فانظر يا مسلم إلى سعة كرم الله في الجزاء لمن يسر لأخيه والمكافأة منه ييسر الله له في الدنيا والآخرة ولا مقارنة بين تيسير المسلم للمسلم في الدنيا وتيسير الله للمسلم في الدنيا لأن تيسير الله في الدنيا أعم وأتم وأدوم فكيف بتيسير الله له في الآخرة.

قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٢/٢٨٩): والتيسير على المعسر في الدنيا من جهة المال يكون بأحد أمرين: إما بإنظاره إلى الميسرة، وذلك واجب، كما قال تعالى: {وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة} [البقرة: ٢٨٠]، وتارة بالوضع عنه إن كان غريما، وإلا فبإعطائه ما يزول به إعساره، وكلاهما له فضل عظيم».

وقال المناوي في فيض القدير (٦/٢٤٣): من يسر على مسلم أو غيره بإبراء أو هبة أو صدقة أو نظرة إلى ميسرة وإعانة بنحو شفاعة أو إفناء يخلصه من ضائقة (يسر الله عليه) مطالبه وأموره (في الدنيا) بتوسيع رزقه وحفظه من الشدائد ومعاونته على فعل الخيرات».

قلت: سيأتي إكمال هذا الحديث عند أحاديث إنظار المعسر.

الحديث الثالث: عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أن رسول اللهﷺ قال: من ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة. رواه مسلم (رقم/٢٦٩٩)

قد جاء الحديث عن كعب بن عجرة عند الطبراني في الكبير (١٩/١٥٨) والأوسط (٥٦٤٩) وعن مسلمة بن مخلد عند أحمد (٤/١٠٤) وعند الطبراني في الأوسط (٨١٣٣) وعن عقبة بن عامر عند أحمد أيضًا (٤/١٤٧)

وأخرجه ابن ماجه (رقم/٢٥٤٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ بلفظ: «من ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة» وغيره وقد جاء من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا عند ابن ماجه (رقم/٢٥٤٦) بلفظ: «**من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته**».

قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٢/٢٩٢-٢٩٣) وهو يتحدث عن الستر عن الناس: من كان مستورا لا يعرف بشيء من المعاصي، فإذا وقعت منه هفوة، أو زلة، فإنه لا يجوز كشفها، ولا هتكها، ولا التحدث بها، لأن ذلك غيبة محرمة، وهذا هو الذي وردت فيه النصوص، وفي ذلك قد قال الله تعالى: {إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة} [النور: ١٩]. والمراد: إشاعة الفاحشة على المؤمن المستتر فيما وقع منه، أو اتهم

به وهو بريء منه، كما في قصة الإفك. قال بعض الوزراء الصالحين لبعض من يأمر بالمعروف: اجتهد أن تستر العصاة، فإن ظهور معاصيهم عيب في أهل الإسلام، وأولى الأمور ستر العيوب، ومثل هذا لو جاء تائبا نادما وأقر بحد، ولم يفسره، لم يستفسر، بل يؤمر بأن يرجع ويستر نفسه، كما أمر النبيﷺ ماعزا والغامدية، وكما لم يستفسر الذي قال: " أصبت حدا، فأقمه علي ". ومثل هذا لو أخذ بجريمته، ولم يبلغ الإمام، فإنه يشفع له حتى لا يبلغ الإمام. وفي مثله جاء الحديث عن النبيﷺ: «**أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم**» . خرجه أبو داود والنسائي من حديث عائشة.

وقال في المجاهر بالمعاصي: من كان مشتهرا بالمعاصي، معلنا بها لا يبالي بما ارتكب منها، ولا بما قيل له فهذا هو الفاجر المعلن، وليس له غيبة، كما نص على ذلك الحسن البصري وغيره، ومثل هذا لا بأس بالبحث عن أمره لتقام عليه الحدود. صرح بذلك بعض أصحابنا، واستدل بقول النبي ﷺ: «**واغد يا أنيس على امرأة هذا، فإن اعترفت، فارجمها**» . ومثل هذا لا يشفع له إذا أخذ، ولو لم يبلغ السلطان، بل يترك حتى يقام عليه الحد لينكف شره، ويرتدع به أمثاله».

وقال الشيخ ابن عثيمين في شرح الأربعين النووية (٣٥٦): "وَمَنْ سَتَرَ مُسلِمَاً" أي أخفى وغطى، ومنه الستارة تخفي الشيء وتغطيه، والمقصود ستر مسلماً ارتكب ما يعاب. إما في المروءة والخلق، وإما في الدين والعمل، "سَتَرَهُ اللهُ في الدُّنيَا وَالآخِرَة".

قلت: ستر المسلم يكون يستر زلته وهي المعصية التي بينه وبين ربه أو بينه وبين الناس ويكون بستر عورته الحسية والمعنوية مع نصحه ودعوته إلى التوبة إلى الله ورد المظالم إلى أهلها وطلب العفو منهم.

ويستفاد من الحديث أن الأصل في عصاة المسلمين الستر وأن هذا الستر يكون خالصا لله لا لطمع دنيوي ولا لغرض سياسي فالذي يتعامل مع المسلمين بهذه المعاملة الحسنة ضمن الله له الستر في الدنيا والآخرة ووالله لنحن أحوج إلى ستر الله علينا من سترنا على فلان وفلان أفلا نرغب جميعًا في ستر الله لنا في الدنيا والآخرة فمن يطيق فضائح يوم القيامة قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ [ال عمران: ٣٠]. ومن يطيق حمل ا لأوزار وهي أثقل من الجبال وأكثر من الرمال. اللَّهُمَّ لطفا بعبادك ورحمة بأوليائك.

كما أسأله سبحانه أن يجعلنا مع رسولهﷺ في ذلك المشهد العظيم قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التحريم: ٨].

ومن عجيب القصص في هذا الباب ما ذكره ابن الجوزي في المنتظم (٢٨٤٢٨٥/١٣) عن أحمد بن مهدي بن رستم قال: جاءتني امرأة ببغداد ليلة من الليالي، فذكرت أنها من بنات الناس وأنها امتحنت بمحنة، وقالت: أسألك بالله أن تسترني، فقلت: وما محنتك؟ قالت: أكرهت على نفسي وأنا حبلى، وذكرت للناس أنك زوجي، وأن ما بي من الحبل منك فلا تفضحني، استرني سترك الله عز وجل فسكت عنها ومضت فلم أشعر حتى وضعت، وجاء إمام المحلة في جماعة من الجيران يهنئوني بالولد، فأظهرت لهم التهلل ووزنت في اليوم الثاني

دينارين ودفعتهما إلى الإمام، فقلت: ادفع هذا إلى تلك المرأة لتنفقه على المولود فإنه سبق ما فرق بيني وبينها، وكنت أدفع في كل شهر إليها دينارين على يد الإمام، وأقول هذه نفقة المولود إلى أن أتى على ذلك سنتان، ثم توفي المولود فجاءني الناس يعزونني، فكنت أظهر لهم التسليم والرضا، فجاءتني المرأة ليلة من الليالي بعد شهر ومعها تلك الدنانير التي كنت أبعث لها بيد الإمام فردتها، وقالت: سترك الله عز وجل كما سترتني، فقلت: هذه الدنانير كانت صلة مني للمولود، وهي لك فاعملي فيها ما تريدين.

فائدة: عن أم الدرداء قالت: من وعظ أخاه سرا فقد زانه ومن وعظه علانية فقد شانه. أخرجه الخلال في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (رقم/٤٥)

فائدة: قال ابن عبد البر في التمهيد (٥/٣٣٧-٣٣٨): فإذا كان المرء يؤجر في الستر على غيره فستره على نفسه كذلك أو أفضل والذي يلزمه في ذلك التوبة والإنابة والندم على ما صنع فإن ذلك محو للذنب إن شاء الله».

الحديث الرابع: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه. رواه مسلم (رقم/٢٦٩٩) .

وقال الملا علي القاري في مرقاة المفاتيح (٧/٤٥٥): وفيه إشارة إلى فضيلة عون الأخ على أموره، والمكافأة عليها بجنسها من العناية الإلهية، سواء كان بقلبه أو بدنه أو بهما لدفع المضار، أو جذب المسار إذ الكل عون».

قلت: ما أدراك ما عون العبد لأخيه إنه العون له بالقول والفعل والقلب والبدن والمال والجاه والعلم والحلم وفي السراء والضراء وفي العسر واليسر حسب الاستطاعة فسعة هذا العون في حق المسلم للمسلم أوسع مما ذكرت ويكافئه الله على كل واحد من أنواع العون فكلما كثرت أنواع التعاون كثرة

المكافئة من الله حتى يكون سبحانه عونا لعبده في أمور لا تحصى في الدنيا والآخرة في كل المجالات خصوصا في نفع العباد والحديث يفهم منه الدعوة إلى الإخلاص لله في التعاون مع المسلم وهكذا الأحاديث السابقة

وتعظيم السلف شأن التعاون فيما بينهم مشهور ومن ذلك ما جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان أخير الناس للمسكين جعفر بن أبي طالب كان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته حتى إن كان ليخرج إلينا العكة التي ليس فيها شيء فنشقها فنعلق ما فيها. رواه البخاري (رقم/٣٧٠٨).

و قال الحسن البصري: «لأن أقضي لأخ لي حاجة أحب إليَّ من أن أعتكف شهرين». أخرجه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج (رقم/٣٨).

وعن أبي حاتم سليم بن منصور، قال: سمعت أبي، يقول: " دخلت على الليث بن سعد، يوما وعلى رأسه خادم يغمزه ، فخرج ثم ضرب الليث بيده إلى مصلاه ، فاستخرج من تحته كيسا فيه ألف دينار ، ثم رمى بها إلي ، ثم قال: يا أبا السري ، لا تعلم بها ابني ، فتهون عليه. أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣٢١/٧).

وقال أبو عمر الزاهد: ترك قضاء حقوق الإخوان مذلة وفي قضاء حقوقهم رفعة. السير (٥١٠/١٥).

وأجل التعاون ما كان فيه تفقيه المسلم في دينه قال الحسن البصري: «لأن أتعلم بابا من العلم ، فأعلمه مسلما أحب إلي من أن تكون لي الدنيا كلها ، أجعلها في سبيل الله تعالى» رواه الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (١/ ١٠٢) رقم(٥٣) وسنده صحيح.

الحديث الخامس: عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته. أخرجه البخاري (رقم/٢٤٤٢) ومسلم (رقم/٢٥٨٠).

وقد جاء عن مسلمة بن مخلد عند أحمد (١٠٤/٤).

وعن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: من يكن في حاجة أخيه يكن الله في حاجته. أخرجه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج (رقم/٤٧).

وقال ابن الأمير الصنعاني في التنوير شرح الجامع الصغير (٤٣٤/١٠): «من يكن في حاجة أخيه» المؤمن ساعيًا في قضائها بقوله أو فعله أو قلبه.

«يكن الله في حاجته» فيقضي له حوائجه مكافأة على إحسانه إلى أخيه وهذا يقضي بأنه ينبغي للعبد أن يكون ساعيًا في حوائج العباد ويؤثرها على حاجاته لأنه يتولى الله تعالى قضاء حاجاته وما تولاه الله فهو كائن بخلاف توليه لحاجة نفسه فقد تقضى وقد لا.

قلت: يا مسلم ألا ترضى أن يكون الله جل جلاله في حاجتك كلما كنت في حاجة المسلمين فانظر إلى الحاجات التي تقضيها للمسلمين وأبشر بقضاء حاجتك ممن يقول للشيء كن فيكون من حيث لا تحتسب ومع هذا لا يزال بعض الناس في عزوف عن العمل بهذا الحديث بل يتطلع بعضهم إلى أن تقضي حاجته من قبل من هو في قبضة الله أكثر من رجائه في ربه الكريم وحتى لو قضيت من هذا الباب فالله هو الذي سخر هذا المخلوق لك فالله الله في الإعانة للمؤمنين في قضاء حوائجهم وتسهيل لهم ما صعب عليهم وكشف كربهم وتفريج همومهم ودفع ضيقهم لينال فاعل هذا من الله تسهيل حوائجه في الدنيا والآخرة.

الحديث السادس: عن أبي اليسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ من أحب أن يظله الله في ظله فلينظر معسرا أو ليضع عنه. رواه ابن ماجه (رقم/٢٤١٩) وأحمد

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: من أنظر معسرا أو وضع له أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله. أخرجه الترمذي (رقم/١٣٠٦) وأحمد وصححه الألباني.

وعن شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من أنظر معسرا أو تصدق عليه أظله الله في ظله يوم القيامة**». رواه الطبراني في الأوسط (رقم/٤١٢٤) وقال الألباني في صحيح الترغيب (٩١٣) (صحيح لغيره).

وعن أسعد بن زرارة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: من سره أن يظله الله يوم لا ظل إلا ظله فلييسر على معسر أو ليضع عنه. رواه الطبراني في الكبير (رقم/٨٩٩) وله شواهد وقال الألباني في صحيح الترغيب (٩١٢) (صحيح لغيره).

عن أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سمعت رسول الله ﷺ يقول «**من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه**». أخرجه مسلم (رقم/١٥٦٣).

قال ابن القيم في الوابل الصيب من الكلم الطيب (٨١): (لأنه لما جعله في ظل الإنظار والصبر ونجاه من حر المطالبة وحرارة تكلف الأداء مع عسرته وعجزه نجاه الله تعالى من حر الشمس يوم القيامة إلى ظل العرش).

قلت: ذكر ابن القيم في كلامه هذا النجاة من حر الشمس لمن أظله الله في ظل عرشه وبقيت أنواع من النجاة ومنها النجاة من الزحام والكظيظ في ذلك

اليوم في أن هذا الزحام فيه من الشدائد ما يهولك من طول الموقف وكثرة العرق والخوف من غضب الله وسخطه وعذابه.

الحديث السابع: عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ «**من أقال مسلما أقاله الله عثرته يوم القيامة**». أخرجه أبو داود (رقم/٣٤٦٠) وابن ماجه (٢١٩٩) والحاكم في مستدركه (٢٨/٢) والحافظ ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج (رقم/٩٧).

وقال المناوي في فيض القدير (٧٩/٦) (من أقال مسلما) أي وافقه على نقض البيع أو البيعة وأجابه إليه (أقال الله عثرته) أي رفعه من سقوطه يقال أقاله يقيله إقالة وتقاؤلا إذا فسخا البيع وعاد المبيع إلى مالكه والثمن إلى المشتري إذا ندم أحدهما أو كلاهما وتكون الإقالة في البيعة والعهد كذا في النهاية قال ابن عبد السلام في الشجرة إقالة النادم من الإحسان المأمور به في القرآن لما له من الغرض فيما ندم عليه سيما في بيع العقار وتمليك الجوار»

قلت: إقالة المسلم لأخيه أمر مرغب فيه فلا يحتقر شأن الإقالة وإن كان في أمر صغير طمعا في مكافئة الله لمن أقال أخاه.

الحديث الثامن: عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال «**كان الرجل يداين الناس فكان يقول لفتاه إذا أتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله أن يتجاوز عنا قال فلقي الله فتجاوز عنه**». أخرجه البخاري (رقم/٢٠٧٨، ٣٤٨٠) ومسلم (رقم/١٥٦٢) وأخرجه النسائي (رقم/٤٦٩٤) بلفظ: إن رجلا لم يعمل خيرا قط، وكان يداين الناس، فيقول لرسوله: خذ ما تيسر، واترك ما عسر وتجاوز، لعل الله تعالى أن يتجاوز عنا، فلما هلك قال الله عز وجل له: هل عملت خيرا قط؟ قال:

لا. إلا أنه كان لي غلام وكنت أداين الناس، فإذا بعثته ليتقاضى قلت له: خذ ما تيسر، واترك ما عسر، وتجاوز لعل الله يتجاوز عنا. قال الله تعالى: قد تجاوزت عنك».

وأخرجه البخاري (رقم/٢٠٧٧) ومسلم (رقم/١٥٦٠) من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وأخرجه مسلم (رقم/١٥٦١) من حديث أبي مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وهو حديث جدير بنا الأخذ به كل منا في مجاله فيحسن معاملة عباد الله بالتيسير لهم والتجاوز عنهم لينال مكافئة الله له على ذلك.

وأختم هذا الفصل بجماع ما سبق نقلا عن ابن القيم فقد قال رَحِمَهُ اللَّهُ في الوابل الصيب من الكلم الطيب (٤٩): وهو سبحانه وتعالى رحيم يحب الرحماء وإنما يرحم من عباده الرحماء وهو ستير يحب من يستر على عباده وعفو يحب من يعفو عنهم وغفور يحب من يغفر لهم ولطيف يحب اللطيف من عباده ويبغض الفظ الغليظ القاسي الجعظري الجواظ ورفيق يحب الرفق وحليم يحب الحلم وبر يحب البر وأهله وعدل يحب العدل وقابل المعاذير يحب من يقبل معاذير عباده ويجازي عبده بحسب هذه الصفات فيه وجودا وعدما فمن عفا عفا عنه ومن غفر غفر له ومن سامح سامحه ومن حاقق حاققه ومن رفق بعباده رفق به ومن رحم خلقه رحمه ومن أحسن إليهم أحسن إليه ومن جاد عليهم جاد عليه ومن نفعهم نفعه ومن سترهم ستره ومن صفح عنهم صفح عنه)

الحديث التاسع: عن أسماء بنت يزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن النبي ﷺ قال: من ذب عن لحم أخيه بالغيبة كان حقا على الله أن يعتقه من النار. أخرجه أحمد

(٤٦١/٦) وابن المبارك في الزهد (رقم/٦٨٧) والطيالسي (رقم/١٦٣٢) والطبراني في الكبير (٤٤٢/٢٤) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٥/٨) رواه أحمد والطبراني وإسناد أحمد حسن. وصححه الشيخ الألباني في غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام (رقم/٤٣١).

وقد أخرجه أحمد (٤٥٠/٦) من حديث أبي الدرداء. وأخرجه أيضا (٤٨٧/٣) من حديث سهل بن حنيف.

قلت: هذا الحديث وأمثاله من الأحاديث الواردة في الدفاع عن المسلم والذب عنه والمشروع فيه بأن يكون الدفاع بالعدل والإخلاص والصدق والتحري فمن كان على هذا فدفاعه عن أخيه عتق له من النار ونجاة من غضب الجبار وفوز بدخول دار الأبرار، ومن كان دفاعه عن أخيه باعتبار الارتباط الحزبي والتوجه البدعي دون تحر للعدل ودن إخلاص لله فهو دفاع بالباطل يترفع عنه كل تقي ويجتنبه كل بار مهتدي ويحذر منه كل ناصح وفي.

تنبيه: لا بارك الله في الحزبية والتحزب حيث جعلت أصحابها في تخاذل عن نصرة المظلومين من المسلمين بل ربما تاجروا بالمسلمين متاجرة فأسلموهم لأعداء الله فالحزبية هزائم متلاحقة بين يدي أعداء الله فلا تكاد تجد منهم مناصرة للمسلم عند الشدائد فضلا عن أن تجدها في غير ذلك فاعمل أيها المسلم في الرخاء في نصرة المسلمين ليكافئك الله على ذلك عند الشدائد، وليحذر أهل الإيمان وعباد الرحمن من التعصب المقيت للأشخاص بحيث لا ينصر في هذه المواطن إلا من كان على رأيه فهذه أحوال يترفع عنها من يتعامل مع الناس بالعدل والإنصاف لا بالظلم والاعتساف.

الحديث العاشر: حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء. أخرجه الحميدي في المسند (رقم/٥٩١) وابن أبي شيبة (٢١٤/٥) وأبو داود (رقم/٤٩٤١) والترمذي (رقم/١٩٢٤) وغيرهم وهو صحيح

وعن أبي أمامة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: من رحم ولو ذبيحة عصفور رحمه الله يوم القيامة. أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٩٤) والبيهقي في الشعب (رقم/١٠٥٥٩) وهو حسن

وعن معاوية بن قرة عن أبيه قال: قال رجل يا رسول الله إني لأذبح الشاة فأرحمها فقال له رسول الله ﷺ: «**والشاة إن رحمتها رحمك الله**». رواه البخاري في الأدب المفرد (رقم/٢٨٧) وأحمد (٤٣٦/٣) والطبراني في المعجم الصغير (٣٠١) والكبير (١٩/رقم٤٥) والحاكم (٥٨٦/٣) وغيرهم وهو صحيح

وعن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال في المرأة التي رحمت بنيها: «**قد رحمها الله برحمتها صبييها**». أخرجه الإمام البخاري في الأدب المفرد (٨٩).

وعن أسامة بن زيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**هذه رحمة يجعلها الله في قلوب من شاء من عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء**». أخرجه البخاري (رقم/١٢٨٤) ومسلم (٩٢٣).

قلت: سيأتي إكمال الأحاديث في الرحمة في الفصل الثاني.

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال مكتوب في الحكمة كما تَرحمون تُرحمون. أخرجه وكيع في الزهد (رقم/٤٩٨) وأحمد في الزهد (رقم/٢٧٤) وهناد في الزهد (رقم/١٣٢٦) وهو صحيح

وقال الطيبي في شرح مشكاة المصابيح (٣١٨٥/١٠): ((ارحموا من في الأرض)) أتى بصيغة العموم ليشمل جميع أصناف الخلق فيرحم البر والفاجر والناطق والبهم والوحوش والطير. ونقله عنه ملا علي القاري في مرقاة المفاتيح (٧٠٤/٨)

قلت: قوله: «**يرحمكم من في السماء**» فيه فوائد جليلة ومعاني جزيلة:

الأولى: الحديث أنوار النبوة عليه ظاهرة.

الثانية: في الحديث المجازاة على قاعدة الجزاء من جنس العمل وهي قاعدة معلومة من الإسلام بالضرورة.

الثالثة: في الحديث إثبات علو الله على خلقه وأن السماء في الحديث العلو والارتفاع لا ذات الطباق والاتساع.

الرابعة: يستفاد من الحديث أن الله ولي الرحمة بعباده في الدنيا والآخرة لا ولي لهم سواه ولا راحم لهم إلا إياه.

الخامسة: في الحديث بيان كرم الله الواسع على عباده فهو البر الرحيم بهم عدلا وفضلا فرحمته بهم شاملة لعدله وفضله.

السادسة: الحديث فيه الحث على فعل الأسباب المشروعة ليُنال بها ما عند الله ومن الأسباب هذه رحمة الناس ورحمة من عداهم من المخلوقات.

السابعة: فيه الدعوة إلى الطمع في رحمة الله عند حصول أسبابها

الثامنة: يفهم من الحديث التحذير من تعاطي أسباب تقطع رحمة الله عن العبد ومن هذه الأسباب المعاصي والذنوب والبدع والضلالات والظلم وسيأتي إكمال هذا البند في الفصل الثاني.

ومن الرحمة التي دعت إليها الشريعة: الرحمة بالحيوان عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: بينا رجل يمشي، فاشتد عليه العطش، فنزل بئرا،

فشرب منها، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي، فملأ خفه، ثم أمسكه بفيه، ثم رقي، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له "، قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجرا؟ قال: «في كل كبد رطبة أجر» أخرجه البخاري (رقم/٢٣٦٣) ومسلم (رقم/٢٢٤٤).

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: غفر لامرأة مومسة، مرت بكلب على رأس ركي يلهث، قال: كاد يقتله العطش، فنزعت خفها، فأوثقته بخمارها، فنزعت له من الماء، فغفر لها بذلك. أخرجه البخاري (رقم/٣٣٢١) ومسلم (رقم/٢٢٤٤، ٢٤٤٥).

فإذا كانت هذه رحمة الله فيمن رحم بهيمة فكيف برحمة الله فيمن رحم عباده وأولياءه.

وقد بلغ حرص العلماء في الرحمة بالدواب تأليف الرسائل في بيان ذلك ومنها رسالة السخاوي تحرير الجواب عن ضرب الدواب.

الحديث الحادي عشر: عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ قال الله للرحم: «**ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك**». أخرجه البخاري (رقم/٤٨٣٠) ومسلم (رقم/٢٥٥٤).

وعن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله أنا الرحمن خلقت الرحم واشتققت لها من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته». أخرجه البخاري في الأدب المفرد (رقم/٥٢)

وقد جاء من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند البخاري في الأدب المفرد (رقم/٥٤) ومن حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند البخاري في الأدب المفرد أيضا (رقم/٥٥).

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت قال رسول الله ﷺ: «**الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله**». أخرجه مسلم (رقم/٢٥٥٥).

وعن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ «**إن أعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم حتى إن أهل البيت ليكونوا فجرة فتنموا أموالهم ويكثر عددهم إذا تواصلوا**». أخرجه ابن حبان (رقم/٤٤٠) وهو حديث حسن.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ «**ليس شيء أطيع الله فيه أعجل ثوابا من صلة الرحم**». أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٦٢/١٠) وهو في السلسلة الصحيحة (رقم/٩٧٨).

قال شيخ الإسلام ابن القيم كما في مختصر الصواعق (٣٧٠/١) ولذلك كان من وصل رحمه لقربه من الرحمن، ورعاية حرمة الرحم، قد عمر دنياه، واتسعت له معيشته، وبورك له في عمره، ونسئ له في أثره، فإن وصل ما بينه وبين الرحمن جل جلاله مع ذلك وما بينه وبين الخلق بالرحمة والإحسان تم له أمر دنياه وأخراه، وإن قطع ما بينه وبين الرحم وما بينه وبين الرحمن أفسد عليه أمر دنياه وآخرته، ومحق بركة رحمته ورزقه وأثره»

الحديث الثاني عشر: عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**اغفروا يغفر الله لكم**». أخرجه البخاري في الأدب المفرد (رقم/٣٨٠) وأحمد (١٦٥/٢، ٢١٩) وعبد بن حميد في المنتخب (٣٢٠) والفسوي في المعرفة

التاريخ (٥٢٢/٢) والبيهقي في شعب الإيمان (٤٧٦/٧-٤٧٧) قال المنذري في الترغيب (١٥٥/٣) رواه أحمد بإسناد جيد وكذا الهيثمي في المجمع (١٩١/١٠) وصححه الألباني في الصحيحة (رقم/٤٨٢).

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ «**غفر الله لرجل ممن كان قبلكم كان سهلا إذا باع سهلا إذا اشترى سهلا إذا اقتضى**» أخرجه الترمذي (١٣٢٠/١) والبيهقي (٣٥٧/٥-٣٥٨) وأحمد (٣٤٠/٣) .

قلت: الحديث واضح أن الذي يعفو ويصفح ويغفر عمن أساء إليه يكافئه الله بالمغفرة والعفو عنه ومن الذي يكره أن يحصل له هذا من ربه الكريم فالحديث مشوق لأهل الإيمان إلى نيل ما عند الله ببذل السبب الشرعي.

الحديث الثالث عشر: عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ «**اسمح يسمح لك**». أخرج الإمام أحمد (٢٤٨/١) والطبراني في الصغير (رقم/١١٦٩) والقضاعي في مسند الشهاب (رقم/٦٤٨) والبيهقي في الشعب (رقم/١١٢٥٨) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٣٠/٣٢) والضياء المقدسي في المختارة (١١/٣) وأخرجه عبد الرزاق في المصنف (رقم/٢٣٧) عن عطاء مرسلا قال: قد كان النبي ﷺ يقول: «اسمحوا يسمح لكم» قال المناوي في فيض القدير (٥١٢/١): أي: عامل الخلق الذين هم عيال الله وعبيده بالمسامحة والمساهلة يعاملك سيدهم بمثله في الدنيا والآخرة.

الحديث الرابع عشر: عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ قال الله تعالى: «**حقت محبتي للمتحابين في، وحقت محبتي للمتباذلين في،**

وحقت محبتي للمتزاورين في، والمتحابون في الله على منابر من نور في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله». أخرجه أحمد (٣٢٨/٥) وابن حبان (رقم/٥٧٧).

وقد جاء من حديث معاذ بن جبل عند مالك في الموطأ (٩٥٣/٢) وأحمد (٣٥٩/٣٦ـ٣٦٠) والطبراني (٨١/٢٠) والحاكم (١٦٩/٤) وابن حبان (رقم/٥٧٥).

وقد جاء من حديث عمرو بن عبسة عند ابن المبارك في الزهد (رقم/٧١٦).

قلت: المحبة في الله لها شأن وأي شأن!!

قال شيخ الإسلام كما في *مجموع الفتاوى* (٦٠٨/١٠): فإنك إذا أحببت الشخص لله كان الله هو المحبوب لذاته فكلما تصورته في قلبك تصورت محبوب الحق فأحببته فازداد حبك لله. كما إذا ذكرت النبيﷺ والأنبياء قبله والمرسلين وأصحابهم الصالحين وتصورتهم في قلبك فإن ذلك يجذب قلبك إلى محبة الله المنعم عليهم وبهم إذا كنت تحبهم لله فالمحبوب لله يجذب إلى محبة الله والمحب لله إذا أحب شخصا لله فإن الله هو محبوبه فهو يحب أن يجذبه إلى الله تعالى وكل من المحب لله والمحبوب لله يجذب إلى الله»

وقال ابن رجب كما في الجامع لتفسير الإمام ابن رجب (١٨٩/٢-١٩٧): حب المساكين أصل الحب في الله تعالى؛ لأنّ المساكين ليس عندهم من الدُّنْيَا ما يوجب محبتهم لأجله، فلا يحبون إلا لله عز وجل، والحب في الله من أوثق عرى الإيمان.

ومن علامات ذوق حلاوة الإيمان، وهو صريح الإيمان، وهو أفضل الإيمان، وهذا كله مروي عن النبي صلّى الله عليه وسلم أنَّه وصف به الحب في الله تعالى... إلى أن قال: واعلم أن محبة المساكين لها فوائد كثيرة، منها: أنها توجب إخلاص العمل لله عز وجل؛ لأن الإحسان إليهم لمحبتهم لا يكون إلا لله عز

وجل؛ لأن نفعهم في الدنيا لا يرجى غالبا... ومنها: أنها تزيل الكبر، فإن المتكبر لا يرضى مجالسة المساكين... ومنها: أن مجالسة المساكين توجب رضى من يجالسهم برزق الله عز وجل، وتعظم عنده نعمة الله عز وجل عليه بنظره في الدنيا إلى من دونه».

قلت: وليس العجيب أن تحب الله فقد قال ابن القيم في الداء والدواء (ص/٥٣٨-٥٣٩): «وكيف لا تحب القلوب من لا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يذهب بالسيئات إلا هو، ولا يجيب الدعوات إلا هو، ولا يقيل العثرات، ويغفر الخطيئات، ويستر العورات، ويكشف الكربات، ويغيث اللهفات، وينيل الطلبات سواه؟.

فهو أحق من ذكر، وأحق من شكر، وأحق من عبد، وأحق من حمد، وأنصر من ابتغي، وأرأف من ملك، وأجود من سئل، وأوسع من أعطى، وأرحم من استرحم، وأكرم من قصد، وأعز من التجئ إليه وأكفى من توكل عليه، أرحم بعبده من الوالدة بولدها، وأشد فرحا بتوبة التائب من الفاقد لراحلته التي عليها طعامه وشرابه في الأرض المهلكة إذا يئس من الحياة ثم وجدها».

ومن محبة الله أن تحب عباده الصالحين وأولياءه المقربين محبة لله لا تريد من وراء حبك إياهم جزاء ولا شكورا فإن نلت هذه المرتبة فهذا تحقيق لكمال عبودية الله فما تكاملت عبودية مسلم ولا مسلمة بمثل الحب في الله والبغض في الله فعند هذا يتفضل الله كرما منه على هذا الصنف بوجوب محبته فمحبته سبحانه هذه أنفع لعباده من إعطائهم الدنيا بحذافيرها فالله الله في حفظ هذا الأصل العظيم!

الحديث الخامس عشر: حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا قالت قال رسول الله ﷺ «**اللَّهُمَّ من ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به**». أخرجه مسلم (رقم/١٨٢٨).

قلت: سيأتي شرحه في الفصل الثاني.

وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ، فقالوا: السام عليكم، قالت عائشة: ففهمتها فقلت: وعليكم السام واللعنة، قالت: فقال رسول الله ﷺ: «**مهلا يا عائشة، إن الله يحب الرفق في الأمر كله**» فقلت: يا رسول الله، أولم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ: " قد قلت: وعليكم. أخرجه البخاري (رقم/٦٠٢٤) ومسلم (رقم/٢١٦٥).

وعن خالد بن معدان عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله رفيق يحب الرفق ويرضاه ويعين عليه ما لا يعين على العنف فإذا ركبتم هذه الدواب العجم فنزلوها منازلها**». أخرجه الطبراني في الكبير (٣٦٥/٢٠).

وعن عبد الله بن مغفل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف**». أخرجه البخاري في الأدب المفرد (رقم/٣٦٨) وأبو داود (رقم/٤٨٠٧) والحديث متواتر معنى فقد جاء عند ابن ماجه (رقم/٣٦٨٨) عن أبي هريرة وعند أحمد (١١٢/١) عن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ.

وجاء من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ «**إذا أراد الله بقوم خيرا أدخل عليهم الرفق**» أخرجه البزار كما في كشف الأستار (رقم/١٩٦٥) وهو عند أحمد (٧١/٦) من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا وغيرها.

وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ «**من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير...**» أخرجه أحمد (٤٥١/٦) والترمذي (رقم/٢٠١٣) وهو صحيح.

وعن قيس بن أبي حازم قال كان يقال من يعط الرفق في الدنيا نفعه في الآخرة. أخرجه وكيع في الزهد (رقم/٤٦٠) بإسناد صحيح.

وعن ابن أبي خالد قال: كان يقال: الرفق يمن والخرق شؤم. أخرجه وكيع في الزهد (٤٦٣) وهو صحيح.

قال ابن بطال في شرح البخاري (٢٢٦/٩) عن حديث عائشة المتقدم وحديث أنس أن أعرابيًّا بال في المسجد...: في هذين الحديثين أدب عظيم من أدب الإسلام، وحض الرفق بالجاهل والصفح والإغضاء عنه؛ لأن الرسول ﷺ ترك مقابلة اليهود بمثل قولهم، ونهى عائشة من الإغلاظ في ردها، وقال: مهلا يا عائشة، إن الله يحب الرفق في جميع الأمور

وقال ابن الجوزي في كشف المشكل (٢٦٩/٤): وقوله: " يحب الرفق في الأمر كله " والمعنى: في كل شيء حتى في خطاب الأعداء المشركين، ولهذا قال تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه: ٤٤].

وقال النووي في شرح مسلم (١٢٣/١٣): هذا من عظيم خلقه ﷺ وكمال حلمه وفيه حث على الرفق والصبر والحلم وملاطفة الناس ما لم تدع حاجة إلى المخاشنة.

وقال بمثله العراقي في طرح التثريب (١١١/٨) والمناوي في فيض القدير (٢٨٧/٢).

قلت: الحديث عن الرفق محبوب للنفوس مرغوب في القلوب لذيذ في الأسماع خصوصا عند من قد أضجره العنف ونفرته الشدة ولكن صاحب الرفق الشرعي يحتاج إلى فقه للرفق كفقه عمر بن الخطاب فقد قال: ويحك يا ابن عباس والله ما أدري كيف أصنع بأمر أمة محمدﷺ قلت والله إنك بحمد الله لقادر على أن تصنع ذاك منها في البقية قال إنه والله يا ابن عباس ما يصلح هذا الأمر إلا القوي في غير عنف اللين في غير ضعف الجواد في غير سرف الممسك في غير بخل فقال له ابن عباس والله ما أعرفه غير عمر. أخرجه ابن شبة في أخبار المدينة (٨٧٩/٣) وهو أثر حسن فالرفق الذي فيه الخير كله محفوف بصفتين ذميمتين الأولى العنف والثانية: الضعف وتسمى أيضًا الرعونة وقد كان عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يخاف من أن يمال به إلى إحدى هاتين الصفتين فكان يدعو قائلا: اللَّهُمَّ إني غليظ فليني... وضعيف فقوني. أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥٣/١) وابن سعد في الطبقات (٣/٢٧٤-٢٧٥) وهو أثر جيد.

أخي المسلم الكريم خذ الفقه من أربابه ومن لانت لهم أبوابه ودانت لهم أضرابه وسهلت عليهم جوانبه الصحابة ومن سار على منوالهم.

الحديث السادس عشر: عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول اللهﷺ رضا الرب في رضا الوالد وسخط الرب في سخط الوالد. أخرجه الترمذي (رقم/١٨٩٩) وابن حبان (رقم/٤٢٩) والبغوي في شرح السنة (١٢/١٣) والحاكم في المستدرك

وأخرج البخاري في الأدب المفرد (رقم/٢) عن عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ موقوفًا قال: رضا الرب في رضا الوالد وسخط الرب في سخط الوالد. وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ص/٣٣)

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول اللهﷺ: طاعة الله طاعة الوالد ومعصية الله معصية الوالد. أخرجه الطبراني في الأوسط (رقم/٢٢٥٥).

قلت: ما أحسن الفهم لهذه الأحاديث كما ينبغي فها هو ابن عباس ممن منحه الله ذلك أخرج البخاري في الأدب المفرد (رقم/٤) عن ابن عباس أنه أتاه رجل فقال أنى خطبت امرأة فأبت أن تنكحني وخطبها غيرى فأحبت أن تنكحه فغرت عليها فقتلتها فهل لي من توبة قال أمك حية قال لا قال تب إلى الله عَزَّوَجَلَّ وتقرب إليه ما استطعت فذهبت فسألت بن عباس لم سألته عن حياة أمه فقال أنى لا أعلم عملا أقرب إلى الله عز و جل من بر الوالدة. وهي قصة صحيحة.

وهذه قصة أخرى عن ابن عمر فيها بيان عظيم حق الوالدين بما لم يكن في حسبان كثير من الناس فقد أخرج البخاري في الأدب المفرد (رقم/٩) عن أبي بردة أنه شهد بن عمر ورجل يماني يطوف بالبيت حمل أمه وراء ظهره يقول إني لها بعيرها المذلل إن أذعرت ركابها لم أذعر .

ثم قال يا بن عمر أترانى جزيتها قال لا ولا بزفرة واحدة ثم طاف بن عمر فأتى المقام فصلى ركعتين ثم قال يا بن أبى موسى إن كل ركعتين تكفران ما أمامهما. وهي قصة صحيحة.

الحديث السابع عشر: عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من التمس رضاء الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس » رواه الترمذي.

قلت: سيأتي تخريجه في الفصل الثاني.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ ومن أرضى الله في سخط الناس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضى عنه من أسخطه في رضاه حتى يزينه ويزين قوله وعمله في عينه». رواه الطبراني في الكبير (٢٦٨/١١).

قال ابن القيم في مدارج السالكين (٢٨٥/٢): ما آثر عبد مرضاة الله عز وجل على مرضاة الخلق، وتحمل ثقل ذلك ومؤنته، وصبر على محنته: إلا أنشأ الله من تلك المحنة والمؤنة نعمة ومسرة، ومعونة بقدر ما تحمل من مرضاته. فانقلبت مخاوفه أمانا، ومظان عطبه نجاة، وتعبه راحة، ومؤنته معونة، وبليته نعمة، ومحنته منحة، وسخطه رضا. فيا خيبة المتخلفين، ويا ذلة المتهيبين.

وقال أيضا في الفوائد (٢٠٩) وهو يشرح هذا الحديث: وهذا يجري فيمن يعين الملوك والرؤساء على أغراضهم الفاسدة وفيمن يعين أهل البدع المنتسبين إلى العلم والدين على بدعهم فمن هداه الله وأرشده امتنع من فعل المحرم وصبر على أذاهم وعداوتهم ثم تكون العاقبة في الدنيا والآخرة كما جرى للرسل وأتباعهم مع من آذاهم وعاداهم مثل المهاجرين في هذه الأمة ومن ابتلي من علمائها وعبادها وتجارها وولاتها وقد يجوز في بعض الأمور إظهار الموافقة وإبطان المخالفة كالمكره على الكفر.

الحديث الثامن عشر: عن أبي هريرة، عن النبيﷺ، «**أن رجلا زار أخا له في قرية أخرى، فأرصد الله له، على مدرجته، ملكا فلما أتى عليه، قال: أين تريد؟ قال: أريد أخا لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله عز وجل، قال: فإني رسول الله إليك، بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه** » أخرجه مسلم وأحمد (رقم/٢٥٦٧).

وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال قال: مر رجل بالنبيﷺ وعند النبيﷺرجل جالس، فقال الرجل: والله يا رسول الله، إني لأحب هذا في الله، فقال رسول الله ﷺ: " أخبرته بذلك؟ " قال: لا، قال: « **قم فأخبره تثبت المودة بينكما** »، فقام إليه فأخبره، فقال: أني أحبك في الله، أو قال: أحبك لله، فقال الرجل: أحبك الذي أحببتني فيه. أخرجه أحمد (١٥٠/٣) وأبو داود (رقم/٥١٢٥) والحاكم (١٧١/٤) والبغوي في شرح السنة (٦٧/١٣) وهو حسن.

الحديث التاسع عشر: عن البراء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبيﷺ: «الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله» أخرجه البخاري (رقم/٣٧٨٣) ومسلم (رقم/٧٥).

وعن معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال سمعت رسول اللهﷺ يقول: من أحب الأنصار أحبه الله عَزَّوَجَلَّ، ومن أبغض الأنصار أبغضه الله عَزَّوَجَلَّ. أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٣٨٩/٣) وأحمد (٩٦/٤) والنسائي في الكبرى (رقم/٨٣٣٢) وأبو يعلى (رقم/٧٣٦٨) والطبراني في الكبير (٣١٧/١٩-٣١٨) وهو صحيح.

وأخرجه أحمد (٥٠١/٢، ٥٢٧) والبزار كما في كشف الأستار (رقم/٢٧٩٢، ٢٧٩٣) وأبو يعلى (رقم/٧٣٦٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٩/١٠): رواه أبو يعلى وإسناده جيد. ورواه البزار وفيه محمد بن عمرو وهو حسن الحديث وبقية رجاله رجال الصحيح.

وعن الحارث بن زياد الساعدي الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ«**لا يحب رجل الأنصار حتى يلقى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إلا لقي الله وهو يحبه ولا يبغض رجل الأنصار حتى يلقى الله إلا لقي الله وهو يبغضه**». أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (١٥٩/٢) وأحمد (٤٢٩/٣)، (٢٢١/٤) وفي فضائل الصحابة (رقم/١٤٥٤) وابن الأثير في أسد الغابة (٣٩٢/١-٣٩٣) وابن أبي شيبة في المصنف (٥٤١/٧) والطبراني في الكبير (٣٦٣/٣-٣٦٤) والبغوي في معجم الصحابة (رقم/٤٤٦، ٥٥٢) وابن قانع في معجم الصحابة (١٧٨/١) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (رقم/١، ٢٠٥٨) والطحاوي في شرح مشكل الآثار (رقم/٢٦٣٦، ٢٦٣٧، ٢٦٣٨) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٨/١٠): رواه أحمد والطبراني بأسانيد ورجال بعضها رجال الصحيح غير محمد بن عمرو وهو حسن الحديث. وقال الشيخ الأرناؤوط في تحقيق المسند (رقم/١٥٥٤٠) إسناده قوي.

قال المناوي في فيض القدير (٣٠/٦) «من أحب الأنصار» لما لهم من المآثر الحميدة في نصرة الدين وقيام نواميس الشريعة وقتالهم بالسنان واللسان على إعلان الإيمان «أحبه الله» أي أنعم عليه وزاد في تقريبه والإحسان إليه»

قلت: قصر المناوي حيث جعل محبة الله للعبد الإنعام عليه بل إن محبة الله للعبد محبة حقيقية تليق بجلاله وكماله كما هي عقيدة أهل السنة والجماعة والإنعام المذكور من آثارها.

وحب الأنصار ليس تفضلا من أحد عليهم بل ذلك من فرائض الدين قال ابن رجب الحنبلي في فتح الباري (٦٦/١) وهو يتحدث عن فضائل الأنصار: ولذلك قيل إن حبهما من فرائض الدين وقيل إنه يرجى على حبهما ما يرجى على التوحيد من الأجر.

الحديث العشرون: عن يعلى بن مرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسينا حسين سبط من الأسباط. أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (رقم/٣٥٣٦) والترمذي (رقم/٢٩٧٠) وصححه الألباني في الصحيحة (رقم/١٢٢٧)

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ في الحسن: اللّٰهُمَّ إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه. أخرجه البخاري (رقم/٥٨٨٤) ومسلم (رقم/٢٤٢١)

وقال رسول الله ﷺ في الحسن والحسين: هذان ابناي وابنا ابنتي اللّٰهُمَّ إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما أخرجه الترمذي (رقم/٣٧٦٩) من حديث أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال القاضي عياض في إكمال المعلم (٤٣٤/٧) حب آل بيت النبى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ واجب على الجملة، ويختص منهم من حض النبى على حبه، ودعا بحب الله له، وحب من أحبه درجة جعلها الله لمن أحبهم حقيقة حبهم، ولعن من يبغضهم ويعاديهم، وقد ظهرت إجابة هذه الدعوة وبركتها فيه بحقن دماء الأمة بسببه، وتنزهه عن عرض الدنيا وفتنتها، وتسليمه ما يمكن له من الخلافة والملك، حذار الفتنة وحيطة على الأمة ونظراً لدينه».

وفي كتابنا آل البيت صفوة الأحساب وأشرف الأنساب بسط لهذه المسألة أكثر فليرجع إليه.

الحديث الحادي والعشرون: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ قال الله عَزَّوَجَلَّ: أنفق يا ابن آدم أنفق عليك. أخرجه البخاري (رقم/٥٣٥٢) ومسلم (رقم/٩٩٣).

قلت: هذا الوعد الإلهي يملأ القلب طمعا ورجاء فيما عند الله وثقة بما في يده سبحانه قال تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل: ٩٦]. وفي الحديث فوائد:

ومنها: أن الله جلت عظمته يضاعف النفقة على عباده المنفقين في مرضاته وإيضاح ذلك: أن الله ينفق على عباده نفقتين إحداهما عامة فهذه النفقة جعلها لكل حي ونفقة خاصة وهذه النفقة الخاصة هي الموعود بها في الحديث المذكور فمن أحسن خلفا من الله ومن أوسع إكراما من مالك الملك، ولله در السلف فقد كانوا على فقه عظيم ومن ذلك ما قاله يونس بن ميسرة : " ليست الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال ولا إضاعة المال ، ولكن الزهادة في الدنيا أن تكون ما في يد الله أوثق منك مما في يديك ، وأن يكون حالك في المصيبة وحالك إذا لم تصب بها سواء ، وأن يكون ذامك ومادحك في الحق سواء " أخرجه أحمد في الزهد (رقم/٩٦) والبيهقي في الشعب (رقم/٩٥٩٧) واللفظ له وسنده حسن.

وقال أبو سليمان الداراني: «من وثق بالله في رزقه زاد في حسن خلقه وأعقبه الحلم وسخت نفسه في نفقته وقلت وساوسه في صلاته» حلية الأولياء (٢٥٧/٩)

وهنا قصة طريفة أذكرها للاستفادة: أخرج الدينوري في المجالسة (رقم/١٧٣٣) وابن عساكر (١٦٦/٢٦) عن محمد بن سلام؛ قال: قال معاوية لأبي إدريس الخولاني رحمهما الله: يا أهل اليمن! إن فيكم خلالا ما تخطئكم. قال: وما هي؟ قال: الجود، والحدة، وكثرة الأولاد. قال: أما ما ذكرت من الجود؛ فذلك لمعرفتنا من الله تبارك وتعالى بحسن الخلف، وأما الحدة؛ فإن قلوبنا ملئت خيرا؛ فليس فيها للشر موضع، وأما كثرة الأولاد؛ فإنا لسنا نعزل عن نسائنا. قال: صدقت، لا يفضض الله فاك».

الحديث الثاني والعشرون: عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه. أخرجه البخاري (رقم/٢٣٨٧).

وعن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول «**ما من عبد كانت له نية في أداء دينه إلا كان له من الله عَزَّوَجَلَّ عون فأنا ألتمس ذلك العون**». أخرجه أحمد (٧٢/٦، ٩٩) والطيالسي (رقم/١٥٢٤) والطحاوي في شرح مشكل الآثار (رقم/٤٢٨٨) والبيهقي في السنن (٣٥٤/٥) وهو حسن.

وعن عبد الله بن جعفر أنه كان يستدين فسئل فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله مع الدائن حتى يقضي دينه**» رواه ابن ماجه (رقم/٢٤٠٩).

قال الحافظ في الفتح (٥٤/٥): إسناده حسن.

وعن ميمونة قالت قال رسول الله ﷺ: «**من أخذ دينا يريد أن يؤديه أعانه الله**». أخرجه النسائي (رقم/٤٦٨٧) وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٢٣٨/٢) وابن حبان (١١٥٧) وأحمد في المسند (٣٣٢/٦) وهو حديث حسن.

قال الحافظ في الفتح (٥٤/٥) وهو يشرح حديث أبي هريرة: إذا نوى الوفاء مما سيفتحه الله عليه فقد نطق الحديث بأن الله يؤدي عنه إما بأن يفتح عليه في الدنيا وإما بأن يتكفل عنه في الآخرة.

قلت: الحديث فيه حث عظيم على إصلاح النية وتطهير القلب من الإرادات الفاسدة والمقاصد السيئة وفيه فتح باب الرجاء في الله وانتظار الفرج والمخرج من عند الله فيما يصعب على العبد المسلم ألا يرضى المسلم أن يكون الله له كما ذكر في الحديث.

ومن الوفاء العجيب في قضاء الدين ما قصه رسول اللهﷺ على أمته فعن أبي هريرة، عن رسول اللهﷺ، أنه ذكر: " أن رجلا من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، قال: ائتني بشهداء أشهدهم، قال: كفى بالله شهيدا، قال: ائتني بكفيل، قال: كفى بالله كفيلا ، قال: صدقت، فدفعها إليه إلى أجل مسمى، فخرج في البحر فقضى حاجته، ثم التمس مركبا، يقدم عليه للأجل الذي أجله، فلم يجد مركبا، فأخذ خشبة فنقرها، فأدخل فيها ألف دينار، وصحيفة معها إلى صاحبها، ثم زجج موضعها، ثم أتى بها البحر، ثم قال: اللَّهُمَّ إنك قد علمت أني استسلفت فلانا ألف دينار، فسألني كفيلا، فقلت: كفى بالله كفيلا، فرضي بك، وسألني شهيدا، فقلت: كفى بالله شهيدا، فرضي بك، وإني قد جهدت أن أجد مركبا أبعث إليه بالذي أعطاني، فلم أجد مركبا، وإني استودعتكها، فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه، ثم انصرف، وهو في ذلك يطلب مركبا يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركبا يجيئه بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حطبا، فلما كسرها وجد المال، والصحيفة، ثم قدم الرجل الذي كان تسلف منه، فأتاه بألف دينار، وقال: والله

ما زلت جاهدا في طلب مركب لآتيك بمالك، فما وجدت مركبا قبل الذي أتيت فيه، قال: هل كنت بعثت إلي بشيء؟ قال: ألم أخبرك أني لم أجد مركبا قبل هذا الذي جئت فيه، قال: فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت به في الخشبة، فانصرف بألفك راشدا». أخرجه أحمد (٣٤٨/٢) قال ابن كثير في التفسير (٥٦٠/١) وهذا إسناد صحيح وقد رواه البخاري في سبعة مواضع من طرق صحيحة معلقا بصيغة الجزم، فقال: وقال الليث بن سعد، فذكره . ويقال: إنه في بعضها عن عبد الله بن صالح كاتب الليث، عنه.

الحديث الثالث والعشرون: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ ما من يوم يصبح فيه العباد إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللَّهُمَّ اعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللَّهُمَّ اعط ممسكا تلفا. أخرجه البخاري (رقم/١٤٤٢) ومسلم (رقم/١٠١٠)

وأخرجه ابن حبان (رقم/٣٣٣٣) بلفظ: إن ملكا بباب من أبواب الجنة يقول من يقرض اليوم يجز غدا وملك بباب آخر يقول: اللَّهُمَّ أعط منفقا خلفا وأعط ممسكا تلفا. وإسناده صحيح.

وأخرج أحمد (١٩٧/٥) واللفظ له وفي الزهد (رقم/١٠٢) والطيالسي (رقم/٩٧٩) وعبد بن حميد (رقم/٢٠٧) وابن حبان (رقم/٦٨٦، ٣٣٢٩) والطبراني في الأوسط (رقم/٢٩١٢) والحاكم (٤٤٤/٢-٤٤٥) من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: ما طلعت الشمس إلا وبجنبتيها ملكان يناديان يسمعان أهل الأرض إلا الثقلين: أيها الناس هلموا إلى ربكم، ما قل وكفى خير

مما كثر وألهى، ولا آبت إلا وبجنبتيها ملكان يناديان يسمعان أهل الأرض إلا الثقلين: اللَّهُمَّ اعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا. وهو حسن.

قلت: سيأتي الكلام على هذا الحديث في الفصل الثاني.

وأخرجه الطبري عن عبد الرحمن بن سمرة

الحديث الرابع والعشرون: عن أبي سعيد الخدري، عن النبيﷺ قال: «أيما مسلم كسا مسلما ثوبا على عري، كساه الله من خضر الجنة» رواه أبو داود (رقم/١٦٨٢) وابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج (رقم/٣١).

وأخرج البخاري في التاريخ الكبير (٩/٣) والترمذي (رقم/٢٤٨٤) واللفظ له والحاكم (٢١٧/٤) وابن أبي حاتم في العلل (١٦٨/٢) عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال سمعت رسول اللهﷺ يقول من كسا مسلما ثوبا كان في حفظ الله ما دام منه عليه خرقة. أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق (١٣٧٥/٣-١٣٧٦) (رقم/١٤٢) والحديث بمجموع طرقه صحيح.

قلت: إذا كان من كسا مؤمنا أو مؤمنة خرقة من الثياب يكرمه الله بما ذكر في الحديث فكيف بمن كسا أعدادا من المسلمين بل كيف بمن كسا قلوب المؤمنين بزيادة التقوى قال الله: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ٢٦﴾ [الاعراف: ٢٦].

ولباس التقوى إصلاح للظاهر والباطن قال عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»

الحديث الخامس والعشرون: عن أبي سعيد الخدري، عن النبيﷺ قال: «**وأيما مسلم أطعم مسلما على جوع، أطعمه الله من ثمار الجنة، وأيما مسلم سقى مسلما على ظمأ، سقاه الله من الرحيق المختوم**» رواه أبو داود (رقم/١٦٨٢) وابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج (رقم/٣١).

وأخرج الإمام أحمد (١٤٨/٤) وأبو يعلى (رقم/١٧٦٦) والحاكم (٤١٦/١) بسند صحيح عن يزيد بن أبي حبيب قال كان أبو الخير لا يخطئه يوم إلا تصدق فيه بشيء ولو كعكة أو بصلة أو كذا.

وفي السير (١٩٩/٦) عن جرير بن عبد الحميد أن سليمان التيمي لم تمر ساعة قط عليه إلا تصدق بشيء فإن لم يكن شيء صلى ركعتين.

وأخرج البيهقي في الزهد الكبير (رقم/٥٨٣) عن إبراهيم بن بشار قال: مضيت مع إبراهيم بن أدهم في مدينة يقال لها طرابلس ومعي رغيفين ما لنا شيء غيرهما، وإذا سائل يسأل، فقال لي: ادفع إليه ما معك، فلبثت، فقال: ما لك أعطه؟ قال: فأعطيته وأنا متعجب من فعله، فقال: يا أبا إسحاق إنك تلقى غدا ما لم تلقه قط، واعلم أنك تلقى ما أسلفت ولا تلقى ما خلفت، فمهد لنفسك، فإنك لا تدري متى يفجؤك أمر ربك قال: فأبكاني كلامه وهون علي الدنيا قال: فلما نظر إلي أبكي قال: هكذا فكن». قلت: إسناده جيد

وقال ابن كثير في البداية والنهاية (١٦/١٥): «واستدعى ابن الفرات يوما ببعض الكتاب، فقال له: ويحك! إن نيتي فيك سيئة، وإني في كل وقت أريد أن أقبض عليك وأصادرك مالك، فرأيت في المنام من ليال أني قد أمرت بالقبض عليك، فجعلت تمتنع مني، فأمرت جندي أن تقاتل، فجعلوا كلما ضربوك

بشيء من سهام أو غيرها من السلاح تتقي الضرب برغيف في يدك، فلا يصل إليك بسببه شيء، فأعلمني ما قصة هذا الرغيف؟ فقال: أيها الوزير، إن أمي منذ كنت صغيرا كانت تضع في كل ليلة تحت وسادتي رغيفا، ثم تصبح فتتصدق به عني، ولم يزل ذلك دأبها حتى ماتت. ففعلته بعدها، فأنا في كل ليلة أبيت تحت وسادتي رغيفا، ثم أصبح فأتصدق به، فعجب الوزير من ذلك وقال: والله لا ينالك مني سوء أبدا، ولقد حسنت نيتي فيك وأحببتك».

(وقال الشوكاني في "البدر الطالع" في ترجمة علي بن محمد الزيدي (١/ ٤٩٢_٤٩٣) الترجمة رقم (٢٤١): "أحد العلماء اليمنيين المحققين" وكان متصلا بالإمام المطهر بن محمد ابن سليمان وقائما بكثير من أمور خلافته قال صاحب مطلع البدور وهو الذي حكى صفة الكتاب الواصل إلى الإمام المطهر من الفقيه محمد بن الأصم أنها اتفقت في زمن الإمام المذكور قصة عجيبة ونكتة غريبة في بلد شامى الحرجة تسمى الحمرة وذلك أنه كان فيها رجل من الزرعة وكان ذا دين وصدقة فاتفق أنه بنى مسجدا يصلي فيه وجعل يأتي ذلك المسجد كل ليلة بالسراج وبعشائه فإن وجد في المسجد من يتصدق عليه أعطاه ذلك العشاء وإلا أكله وصلى صلاته واستمر على ذلك الحال ثم أنها اتفقت شدة ونضب ماء الآبار وكانت له بير فلما قل ماؤها أخذ يحتفرها هو وأولاده فخربت تلك البير والرجل في أسفلها خرابا عظيما حتى إنه سقط ما حولها من الأرض إليها فأيس منه أولاده ولم يحفروا له وقالوا قد صار هذا قبره وكان ذلك الرجل عند خراب البئر في كهف فيها فوقعت إلى بابه خشبة منعت الحجارة من أن تصيبه فأقام في ظلمة عظيمة ثم إنه بعد ذلك جاءه السراج الذي كان يحمله إلى المسجد وذلك الطعام الذي كان يحمله كل ليلة وكان به يفرق ما بين الليل

والنهار واستمر له ذلك مدة ست سنين والرجل مقيم في ذلك المكان على تلك الحال ثم انه بدا لأولاده أن يحفروا البئر لإعادة عمارتها فحفروها حتى انتهوا إلى أسفلها فوجدوا أباهم حيا فسألوه عن حاله فقال لهم ذلك السراج والطعام الذي كنت أحمل إلى المسجد يأتيني على ما كنت أحمله تلك المدة فعجبوا من ذلك فصارت قضية موعظة يتوعظ بها الناس فى أسواق تلك البلاد وقال في مطلع البدور ومن جملة من زار هذا الرجل محمد بن الأصم انتهى).

قلت: هنيئا لأرباب الإحسان إلى الفقراء والمساكين والأيتام والأرامل وإلى المتضررين بأسباب الحروب والفيضانات والمجاعة وغير ذلك كم لهم في جنات النعيم من نعيم الإطعام والشراب والإكرام.

الحديث السادس والعشرون: عن أبي أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير. أخرجه الترمذي (رقم/٢٦٨٥)

وعن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحار. أخرجه الطبراني في الأوسط (٢١٤/٦) وأخرجه البزار كما في كشف الأستار (١٣٣) عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٤٢/٤): ولهذا كان معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر والله وملائكته يصلون على معلم الناس الخير لما في ذلك من عموم النفع لكل شيء.

وقال ابن القيم في مفتاح دار السعادة (٦٣/١): لما كان تعليمه للناس الخير سببا لنجاتهم وسعادتهم وزكاة نفوسهم جازاه الله من جنس عمله بأن جعل

عليه من صلاته وصلاة ملائكته وأهل الأرض ما يكون سببا لنجاته وسعادته وفلاحه وأيضًا فإن معلم الناس الخير لما كان مظهرًا لدين الرب وأحكامه ومُعَرِّفا لهم بأسمائه وصفاته جعل الله من صلاته وصلاة أهل سمواته وأرضه عليه ما يكون تنويها به وتشريفا له وإظهارا للثناء عليه بين أهل السماء والأرض»

قلت: وإذا كانت هذه المخلوقات تثني على العلماء الذين يعملون بشرع الله فالمؤمنون أولى بالثناء على هؤلاء العلماء ولا شك أن كبار العقلاء يعظمون ويعرفون قدر علماء الحديث قال ابن الجوزي في المنتظم (٣٠٣/١٦): «وكان مجلسه [أي: الحسن بن علي بن العباس الملقب بنظام الملك] عامرا بالفقهاء وأئمة المسلمين وأهل التدين حتى كانوا يشغلونه عن مهمات الدولة، فقال له بعض كتابه: هذه الطائفة من العلماء قد بسطتهم في مجلسك حتى شغلوك عن مصالح الرعية ليلا ونهارا، فإن تقدمت أن لا يوصل أحد منهم إلا بإذن، وإذا وصل جلس بحيث لا يضيق عليك مجلسك. فقال: هذه الطائفة أركان الإسلام، وهم جمال الدنيا والآخرة، ولو أجلست كلا منهم على رأسي لاستقللت لهم ذلك».

الحديث السابع والعشرون: عن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: إن ناسا من الأنصار سألوا رسول اللهﷺ، فأعطاهم، ثم سألوه، فأعطاهم، ثم سألوه، فأعطاهم حتى نفد ما عنده، فقال: «**ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر**» أخرجه البخاري (رقم/١٤٦٩) ومسلم (رقم/١٠٥٣). وأخرجه البخاري (رقم/١٤٢٧) من حديث

حكيم بن حزام رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وأخرجه البخاري أيضًا (رقم/١٤٢٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وأخرجه البزار كما في كشف الأستار (رقم/٩١٤) عن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعا بلفظ: «من يستغن يغنه الله ومن يقنع يقنعه الله».

وعن رجل من مزينة قال: قال رسول اللهﷺ: من استعف أعفه الله، ومن استغنى أغناه الله، ومن سأل الناس وله عدل خمس أواق فقد سأل إلحافا. أخرجه أحمد (١٣٨/٤)

قال ابن الجوزي في كشف المشكل (١٢٧/٣) (ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله) المعنى أن من يتكلف فعل ما يؤدي إليه اجتهاده ينعم الله عز وجل عليه بما لا يدخل تحت وسعه.

واعلم أن مستعمل العفاف داخل في زمرة المعاملين لله عز وجل، فإن التعفف يوجب ستر الحال عن الخلق وإظهار الغنى لهم، فيصير معاملا في الباطن، ويقع له من الربح على قدر صبره وصدقه. وإنما جعل الصبر خير العطاء لأنه حبس للنفس عما تحب مما يؤذيها، وعلى ما تكره مما يقصد به صلاحها، وذلك خير ما أعطيت النفس.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الزهد والورع والعبادة (١٦) «فالمستغني لا يستشرف بقلبه والمستعف هو الذي لا يسأل الناس بلسانه والمتصبر هو الذي لا يتكلف الصبر فأخبر أنه من يتصبر يصبره الله وهذا كأنه في سياق الصبر على الفاقة بأن يصبر على مرارة الحاجة لا يجزع مما ابتلي به من الفقر وهو الصبر في البأساء والضراء قال تعالى والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس الصبر على البلاء والضراء والمرض وهو الصبر على ما ابتلي به من حاجة ومرض وخوف

والصبر على ما ابتلي به باختياره كالجهاد فإن الصبر عليه أفضل من الصبر على المرض الذي يبتلى به بغير اختياره ولذلك اذا ابتلي بالعنت في الجهاد فالصبر على ذلك أفضل من الصبر عليه في بلده لأن هذا الصبر من تمام الجهاد وكذلك لو ابتلي في الجهاد بفاقة أو مرض حصل بسببه كان الصبر عليه أفضل»

قال السعدي في بهجة قلوب الأبرار (٨٨) «هذا الحديث اشتمل على أربع جمل جامعة نافعة.

إحداها: قوله: "ومن يستعفف يعفه الله"

والثانية: قوله: "ومن يستغن يغنه الله"

وهاتان الجملتان متلازمتان، فإن كمال العبد في إخلاصه لله رغبة ورهبة وتعلقاً به دون المخلوقين، فعليه أن يسعى لتحقيق هذا الكمال، ويعمل كل سبب يوصله إلى ذلك، حتى يكون عبداً لله حقاً حُرّاً من رق المخلوقين. وذلك بأن يجاهد نفسه عن أمرين: انصرافها عن التعلق بالمخلوقين بالاستعفاف عما في أيديهم. فلا يطلبه بمقاله ولا بلسان حاله. ولهذا قال صلّى الله عليه وسلم لعمر: «ما أتاك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه، ومالا فلا تتبعه نفسَك»٢- فقطع الإشراف في القلب والسؤال باللسان، تعففاً وترفعاً عن مِنن الخلق، وعن تعلق القلب بهم، سبب قوي لحصول العفة.

الحديث الثامن والعشرون: عن قبيصة بن برمة الأسدي قال كنت عند النبيﷺ فسمعته يقول أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة. أخرجه البخاري في الأدب المفرد (رقم/٢٢١) وهو صحيح وأخرجه البخاري أيضًا في المصدر نفسه (رقم/٢٢٣) عن

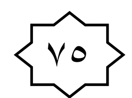
سلمان موقوفًا وهو صحيح وأخرجه البخاري في المصدر نفسه (رقم/٢٢٣) وابن أبي شيبة في المصنف (٢٢١/٥) (رقم/٢٥٤٢٩) وأحمد في الزهد (رقم/٢٣٦٨) وابن أبي الدنيا في اصطناع المعروف (رقم/١٧) عن أبي عثمان النهدي عن النبيﷺ وهو مرسل.

وجاء عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الاخرة. أخرجه البيهقي في الشعب (٤٩٤/١٣) (رقم/١٠٦٦٨) والدار قطني في العلل (٢٤٤/٢) (رقم/٢٤٥).

وعن محمد بن قدامة الجوهري قال: قال رجل لحماد بن زيد إن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة من هؤلاء؟ فقال حماد: " أنا أخبرك، إذا كان يوم القيامة جمع الله أهل المعروف فجاد عليهم بفضل من فضله وبقى لهم حسناتهم فتلقاهم إخوانهم من المؤمنين المقصرين يسألونهم عن حالهم فيقولون: ذهبت السيئات بالحسنات وقد بقينا لا ندري إلى ما نصير قال: فيقولون لهم: فإن ربنا قد جاد علينا بفضل من فضله وبقى لنا حسناتنا التي عملناها فهلموا ندفعها إليكم. قال: فيدفعونها إليهم فيدخلون بها الجنة. أخرجه البيهقي في الشعب (رقم/١٠٦٦٩) (٤٩٥/١٣).

وقال السفاريني في لوامع الأنوار (٣٧٩/٢) أي من بذل معروفه للناس في الدنيا آتاه الله جزاء معروفه في الآخرة، وقيل: أراد من بذل جاهه لأصحاب الجرائم التي لا تبلغ الحدود فيشفع فيهم شفعه الله في أهل التوحيد في الآخرة.

الحديث التاسع والعشرون: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللهﷺ: «**من تواضع لله رفعه الله**». أخرجه مسلم (رقم/٢٥٨٨).



وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من آدمي إلا في رأسه حكمه بيد ملك فإذا تواضع قيل للملك ارفع حكمته وإذا تكبر قيل للملك ضع حكمته**». أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/٢١٨-٢١٩) وقال الهيثمي في المجمع (٨/٨٢): رواه الطبراني وإسناده حسن. وقد جاء من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند البيهقي في الشعب (١٠/٤٥٧) قال المنذري في الترغيب والترهيب (٣/٥٣٣): رواه الطبراني والبزار بنحوه من حديث أبي هريرة وإسنادهما حسن. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٨٣): رواه البزار وإسناده حسن.

وعن معاذ بن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ «**من ترك اللباس تواضعا لله وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخير من أي حلل الإيمان شاء يلبسها**». أخرجه الترمذي (رقم/٢٤٨١) وأحمد (٣/٤٣٩) والفسوي في المعرفة (١/٣٣٩)، (٢/٥١١) والحاكم (٤/١٨٣) وعنه البيهقي في الشعب (رقم/٦١٤٨) والطبراني (٢٠/١٨٨-١٨٩) وأبو نعيم في الحلية (٨/٤٨) وهو حديث حسن.

وعن عبيد الله بن عدي بن الخبار قال سمعت عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو على المنبر يقول إن العبد إذا تواضع لله رفعه وقال انتعش رفعك الله فهو في نفسه حقير وفي أعين الناس كبير وإذا تكبر وعدا طوره أوهصه الله إلى الأرض وقال اخسأ خسأك الله فهو في نفسه كبير وفي أعين الناس حقير حتى لهو أحقر في أعينهم من الخنزير. أخرجه ابن شبة في أخبار المدينة (٢/٧٥٠) وابن أبي شيبة في المصنف (٥/٣٢٩) وأبو داود في الزهد (رقم/٧٣) وهو حسن.

وعن جرير بن عبد الله، قال: قال لي سلمان: «**يا جرير تواضع لله، فإنه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة**» رواه وكيع في الزهد رقم (٢١٥) وأحمد في الزهد رقم (٨١٣).

وجاء بلفظ :

وعن جرير، قال: نزلنا الصفاح فإذا نحن برجل نائم في ظل شجرة قد كادت الشمس تبلغه، قال: فقلت للغلام: انطلق بهذا النطع فأظله، فلما استيقظ إذا هو سلمان، قال: فأتيته أسلم عليه، قال: فقال: «يا جرير، تواضع لله، فإن من تواضع لله رفعه الله يوم القيامة، يا جرير، هل تدري ما الظلمات يوم القيامة؟»، قال: قلت: لا أدري، قال: «**ظلم الناس بينهم في الدنيا**»، ثم أخذ عودا لا أكاد أراه بين إصبعيه فقال: «**يا جرير، لو طلبت في الجنة مثل هذا العود لم تجده**»، قال: قلت: يا أبا عبد الله؟ أين النخل والشجر؟ فقال: «**أصوله اللؤلؤ والذهب وأعلاه الثمر**» رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٢٠/٧) رقم (٣٤٦٦٣) وهناد السري في الزهد (٩٨) وأبو نعيم في الحلية (٢٠٢/١) وهو صحيح.

وعن أبي وائل، قال: قال عبد الله يعني ابن مسعود: «**من تواضع لله تخشعا، رفعه الله يوم القيامة، ومن تطاول تعظما، وضعه الله يوم القيامة**» رواه وكيع في الزهد رقم (٢١٦) وابن أبي شيبة في المصنف (١٩٧/٧) رقم (٣٥٢٩٩) والطبراني في المعجم الكبير (٩٤/٩) رقم (٥٨١٢).

وعن أيوب قال إن أقواما يتنعمون ويأبى الله إلا أن يضعهم وإن أقواما يتواضعون ويأبى الله إلا أن يرفعهم. أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠/٣).

وعن عبد الكريم قال قيل لعمر بن عبد العزيز جزاك الله عن الإسلام خيرا فقال لا بل جزى الله الإسلام عني خيرا. أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد الزهد (رقم/١٧٣٩) بإسناد حسن.

قال ابن جرير الطبري: في التواضع مصلحة الدين والدنيا فإن الناس لو استعملوه في الدنيا لزالت بينهم الشحناء ولاستراحوا من تعب المباهاة والمفاخرة. نقله الحافظ في الفتح (٤٣١/١١).

وقال ابن الأمير في التنوير شرح الجامع الصغير (١٨٤/١٠): (من تواضع لله) أي لأجل عظمة الله لأنه أمر بالتواضع ويحبه (رفعه الله) في الدنيا والآخرة لأنه ترك حظ نفسه لله فأعطاه الله خيرًا مما ترك والتواضع لله أن يجعل نفسه حيث وصفها الله تعالى من العجز وذل العبودية تحت أوامره تعالى بالامتثال لها وزواجره بالانزجار وأحكامه بالتعليم لعباده، وقال الطبري: في التواضع مصلحة الدارين فلو استعمله الناس في الدنيا لزالت بينهم الشحناء فاستراحوا من نصب المباهات والمفاخرات.

قلت: اعلم أيها القارئ المتفقه في الأخلاق أن صفة التواضع صفة عظيمة وعبادة كريمة وحالة مستقيمة إلا أنها محفوفة بآفتين عظيمتين وهما المهانة والكبر فاحتيج إلى التفريق في ذلك، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في الروح (٦٥٧/٢-٦٥٩): والفرق بين التواضع والمهانة أن التواضع يتولد من بين العلم بالله سبحانه ومعرفة أسمائه وصفاته ونعوت جلاله وتعظيمه ومحبته وإجلاله ومن معرفته بنفسه وتفاصيلها وعيوب عملها وآفاتها فيتولد من بين ذلك كله خلق هو التواضع وهو انكسار القلب لله وخفض جناح الذل والرحمة لعباده فلا يرى له على أحد فضلا ولا يرى له عند أحد حقا بل يرى الفضل للناس

عليه والحقوق لهم قبله وهذا خلق إنما يعطيه الله عَزَّوَجَلَّ من يحبه ويكرمه ويقربه وأما المهانة فهي الدناءة والخسة وبذل النفس وابتذالها في نيل حظوظها وشهواتها كتواضع السفل في نيل شهواتهم وتواضع المفعول به للفاعل وتواضع طالب كل حظ لمن يرجو نيل حظه منه فهذا كله ضعة لا تواضع والله سبحانه يحب التواضع ويبغض الضعة والمهانة وفي الصحيح عنه وأوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد والتواضع المحمود على نوعين.

النوع الأول: تواضع العبد عند أمر الله امتثالا وعند نهيه اجتنابا فإن النفس لطلب الراحة تتلكأ في أمره فيبدو منها نوع إباء وشراد هربا من العبودية وتثب عند نهيه طلبا للظفر بما منع منه فإذا وضع العبد نفسه لأمر الله ونهيه فقد تواضع للعبودية.

والنوع الثاني: تواضعه لعظمة الرب وجلاله وخضوعه لعزته وكبريائه فكلما شمخت نفسه ذكر عظمة الرب تعالى وتفرده بذلك وغضبه الشديد على من نازعه ذلك فتواضعت إليه نفسه وانكسر لعظمة الله قلبه وتطامن لهيبته وأخبت لسلطانه فهذا غاية التواضع وهو يستلزم الأول من غير عكس والمتواضع حقيقة من رزق الأمرين والله المستعان».

وأما الكبر فمعروف أنه بطر الحق وغمط الناس.

الحديث الثلاثون: عن أبي طلحة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ جاء ذات يوم والبشر يرى في وجهه، فقال: " إنه جاءني جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فقال: «**أما يرضيك يا محمد أن لا يصلي عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشرًا، ولا يسلم**

عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرا فقلت بلى أي رب». أخرجه النسائي (رقم/١٢٩٥) والدارمي (٣١٧/٢) وابن حبان (٢٣٩١) والحاكم (٤٢٠/٢) وأحمد (٣٠/٤) والأحاديث في ألفاظ الصلاة على النبيﷺ بلغت مبلغ التواتر فقد سرد ابن القيم في جلاء الأفهام أسماء الصحابة الذين رووا الصلاة على النبيﷺ فبلغ بهم إلى اثنين وأربعين صحابيا والعظمة في هذا الحديث ظاهرة كيف لا والمصلي والمسلم على الرسولﷺ مرة واحدة يصل الله ويسلم عليه عشر مرات وصلاة الله على عباده الثناء عليهم فلو لم يكن من الصلاة على النبيﷺ إلا هذا الثناء لكان كافيا أتم كفاية لأن ثناء الله على عبده أنفع له من ثناء جميع العالمين وهذا الثناء من الله مشتمل على بركات كثيرة ومتنوعة للمصلي على النبيﷺ فقد ذكر ابن القيم في جلاء الأفهام (ص/٥٢١-٥٣٤) أربعين فائدة وثمرة من الصلاة على النبيﷺ فكيف لا يرغب المسلم والمسلمة في هذا الكرم الإلهي فيكثر من الصلاة على الرسولﷺ حبا له وتوقيرًا وتعزيرًا واتباعًا وأدبًا جعلنا الله جميعًا ممن يظفر بهذا الكرم.

قال الملا علي القاري في مرقاة المفاتيح (١٥/٣) قال الطيبي: هذا بعض ما أعطى من الرضا في قوله: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥ ﴾ [٥:الضحى]. ، وهذه البشارة راجعة في الحقيقة إلى الأمة، ومن ثم تمكن البشر في أسارير وجهه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. قال الملا: «أن لا يصلي عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشراً» أن مصدرية والمعنى: أما يرضيك عدم صلاة أحد إلا مقرونة بعشر صلوات مني - المرقاة (١٦/٣).

وقال أيضا في المصدر المذكور (٢٧٨/٣): (ولا يسلم) الخ. فيه دليل على أن السلام عليه كالصلاة، وأن الله سبحانه يسلم على من سلم على رسول الله ﷺ كما يصلي على من صلى على رسوله عشراً».

الحديث الحادي والثلاثون: عن ابن عمر أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله ، أي الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله تعالى سرور يدخله على مسلم، أو يكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعا، ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد - يعني مسجد المدينة شهرا - ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه، ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يتهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل**». أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤٥٣/١٢) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٩٣/٤١) وابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج (رقم/٣٦) وحسنه الألباني في الصحيحة (رقم/٩٠٦).

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير الناس أنفعهم للناس**». أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (رقم/١٢٣٤) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم/٣٢٨٩).

قال المناوي في فيض القدير (٤٨١/٢) (خير الناس أنفعهم للناس) بالإحسان إليهم بماله وجاهه فإنهم عباد الله وأحبهم إليه وأنفعهم لعياله أي أشرفهم عنده أكثرهم نفعا للناس بنعمة يسديها أو نقمة يزويها عنهم دينا أو دنيا ومنافع

الدين أشرف قدرا وأبقى نفعا قال بعضهم: هذا يفيد أن الإمام العادل خير الناس أي بعد الأنبياء لأن الأمور التي يعم نفعها ويعظم وقعها لا يقوم بها غيره وبه نفع العباد والبلاد وهو القائم بخلافة النبوة في إصلاح الخلق ودعائهم إلى الحق وإقامة دينهم وتقويم أودهم ولولاه لم يكن علم ولا عمل».

قلت: من كان أنفع الناس للناس فهو أحب إلى الله كان رئيسا أم غنيا أم عالما إلا أنه ينبغي أن يعلم أن الله يفتح على من شاء من هؤلاء فيجري على يده من الخير ما ينتفع به على مر الدهور وقد يدوم إلى قيام الساعة كنفع الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ نشروا الإسلام وهم أحياء فبقيت آثار نفعهم وانتشار الإسلام على أيديهم إلى ساعتنا هذه وسيدوم هذا إلى قيام الساعة وهكذا فيمن تبعهم من أهل العلم فعَلِمَ وعَلَّم وألف وحقق ودعا ونصح فهذا النفع لا يسبقه نفع ولا يلحقه نفع فنفع الملوك الصالحين والأغنياء الخيرين لا يبلغ هذا ا لمبلغ بل هذا النفع تبقى آثاره في يوم القيامة من شفاعة وغير ذلك ويشارك هؤلاء من عباد الله الصالحين من يشارك.

ومن القصص الصحيحة المناسبة لمسألتنا هذه:

قال البيهقي في شعب الإيمان (٧٠/٥) (رقم/٣١٠٩) وفي هذا المعنى حكاية قرحة شيخنا الحاكم أبي عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فإنه قرح وجهه وعالجه بأنواع المعالجة فلم يذهب وبقي فيه قريبا من سنة، فسأل الأستاذ الإمام أبا عثمان الصابوني أن يدعو له في مجلسه يوم الجمعة فدعا له، وأكثر الناس في التأمين، فلما كانت الجمعة الأخرى ألقت امرأة في المجلس رقعة بأنها عادت إلى بيتها، واجتهدت في الدعاء للحاكم أبي عبد الله تلك الليلة، فرأت في منامها رسول الله ﷺ كأنه يقول لها: قولوا لأبي عبد الله: يوسع الماء على المسلمين، فجئت

بالرقعة إلى الحاكم أبي عبد الله فأمر بسقاية الماء بنيت على باب داره وحين فرغوا من البناء أمر بصب الماء فيها وطرح الجمد في الماء، وأخذ الناس في الشرب فما مر عليه أسبوع حتى ظهر الشفاء، وزالت تلك القروح، وعاد وجهه إلى أحسن ما كان، وعاش بعد ذلك سنين.

وقال القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد البزاز الأنصاري يقول: كنت مجاورا بمكة - حرسها الله تعالى - فأصابني يوما من الأيام جوع شديد لم أجد شيئا أدفع به عني الجوع، فوجدت كيسا من إبريسم مشدودا بشرابة من إبريسم أيضًا فأخذته وجئت به إلى بيتي، فحللته فوجدت فيه عقدا من لؤلؤ لم أر مثله، فخرجت فإذا الشيخ ينادي عليه، ومعه خرقة فيها خمسمائة دينار وهو يقول: هذا لمن يرد علينا الكيس الذي فيه اللؤلؤ، فقلت: أنا محتاج، وأنا جائع، فآخذ هذا الذهب فأنتفع به، وأرد عليه الكيس، فقلت له: تعالى إلي، فأخذته وجئت به إلى بيتي، فأعطاني علامة الكيس، وعلامة الشرابة، وعلامة اللؤلؤ وعدده، والخيط الذي هو مشدود به، فأخرجته ودفعته إليه. فسلم إلي خمسمائة دينار، فما أخذتها، وقلت: يجب علي أن أعيده إليك ولا آخذ له جزاء، فقال لي: لا بد أن تأخذ. ألح علي كثيرا، فلم أقبل ذلك منه، فتركني ومضى.

وأما ما كان مني فإني خرجت من مكة وركبت البحر، فانكسر المركب وغرق الناس، وهلكت أموالهم، وسلمت أنا على قطعة من المركب، فبقيت مدة في البحر لا أدري أين أذهب، فوصلت إلى جزيرة فيها قوم، فقعدت في بعض المساجد، فسمعوني أقرأ، فلم يبق في تلك الجزيرة أحد إلا جاء إلي وقال: علمني القرآن. فحصل لي من أولئك القوم شيء كثير من المال.

قال. ثم إني رأيت في ذلك المسجد أوراقا من مصحف، فأخذتها أقرأ فيها فقالوا لي: تحسن تكتب؟. فقلت: نعم، فقالوا: علمنا الخط، فجاءوا بأولادهم من الصبيان والشباب، فكنت أعلمهم، فحصل لي أيضًا من ذلك شيء كثير فقالوا لي بعد ذلك: عندنا صبية يتيمة، ولها شيء من الدنيا نريد أن تتزوج بها، فامتنعت، فقالوا: لابد، وألزموني، فأجبتهم إلى ذلك.

فلما زفوها إلي مددت عيني أنظر إليها، فوجدت ذلك العقد بعينه معلقا في عنقها، فما كان لي حينئذ شغل إلا النظر إليه. فقالوا: يا شيخ، كسرت قلب هذه اليتيمة من نظرك إلى هذا العقد، ولم تنظر إليها، فقصصت عليهم قصة العقد فصاحوا وصرخوا بالتهليل والتكبير، حتى بلغ إلى جميع أهل الجزيرة، فقلت: ما بكم. فقالوا: ذلك الشيخ الذي أخذ منك العقد أبو هذه الصبية، وكان يقول: ما وجدت في الدنيا مسلما إلا هذا الذي رد علي هذا العقد، وكان يدعو ويقول: اللَّهُمَّ أجمع بيني وبينه حتى أزوجه بابنتي، والآن قد حصلت، فبقيت معها مدة ورزقت منها بولدين. ثم إنها ماتت فورثت العقد أنا وولداي، ثم مات الولدان فحصل العقد لي فبعته بمائة ألف دينار. وهذا المال الذي ترون معي من بقايا ذلك المال». ذكرها ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (١/١٩٦-١٩٧). وهي مشهورة في كتب الحنابلة.

الحديث الثاني والثلاثون: عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ «**من أكرم سلطان الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في الدنيا أكرمه الله يوم القيامة**». أخرجه أحمد (٥/٤٢، ٤٨-٤٩) والترمذي (رقم/٢٢٢٤) وهو حسن، وسيأتي تخريجه ومن العمل بمعنى هذا الحديث.

قال ابن أبي الدنيا في كتابه الورع (رقم/٢١٣) عن عبد الله بن خالد العبسي، أن عمر بن الخطاب رأى قوما مجتمعين على أمر كرهه، فسعى عليهم بالدرة فتفرقوا، وقام رجل منهم فضربه وقال: «ما حملك على أن قمت لي حتى ضربتك؟ ألا ذهبت كما ذهب أصحابك؟» قال: يا أمير المؤمنين، إن الله جعل حقك علي - أو قال: على كل مسلم - كحق الوالد على ولده، وإني لما رأيتك سعيت كرهت أن أتعبك فقمت حتى تقضي مني حاجتك. قال: «آلله كذلك حملك على ما صنعت؟» فحلف، فأخذ بيده فجلسا، فلم يزل له مكرما حتى فارق الدنيا.

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف (٤١٩/٦) والخلال في السنة (رقم/٥٤) واللفظ له وأبو عمرو الداني في الفتن (رقم/١٤٣) وابن أبي زمنين في أصول السنة (رقم/٢٠٥) بإسناد جيد عن سويد بن غفلة، قال: قال لي عمر: يا أبا أمية ، إني لا أدري لعلي أن لا ألقاك بعد عامي هذا ، فاسمع وأطع وإن أمر عليك عبد حبشي مجدع ، إن ضربك فاصبر ، وإن حرمك فاصبر ، وإن أراد أمرا ينتقص دينك فقل: سمع وطاعة ، ودمي دون ديني ، فلا تفارق الجماعة.

وأخرج أبو عمر الداني في الفتن عن محمد بن المنكدر قال لما بويع ليزيد بن معاوية ذكر ذلك لابن عمر فقال: إن كان خيرا رضينا وإن كان شرا صبرنا. وهو أثر جيد.

قلت: أما معنى الحديث فواضح وما أقل العمل به عند كثير من المسلمين والسبب في قلة العمل بهذا الحديث وأمثاله أن الناس ينظرون إلى ما عند السلاطين من تقصير في أمور عامة أو خاصة أو هما معا فتقع الاستهانة بهم في قلوبهم فكيف لو أخذوا أموالهم فإنه يقع في قلوبهم عليهم من البغض والكره والسخط ما يجعلهم يقبلون المحاربة لهم والسعي في الخلاص منهم خصوصا إذا

وجدوا من يسعى إلى الثورات والانقلابات فهذه الأحوال عند الحكام والمحكومين هي غالب ما بها الشرور والفتن العظام ولا حول ولا قوة إلا بالله.

سرد جملة من الأدلة في فضل الإحسان وعمل الخير

الحديث الأول: عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللهﷺ «**إذا حكمتم فاعدلوا وإذا قلتم فأحسنوا فإن الله محسن يحب الإحسان**». أخرجه ابن أبي عاصم في الديات (رقم/٢٣٠) وأبو نعيم في أخبار أصبهان (١١٣/٢) وابن عدي في الكامل (١٣٣/٦) والحديث صحيح.

وفي حديث شداد بن أوس مرفوعاً: «**إن الله محسن يحب الإحسان...**» أحرجه الطبراني في الكبير أفاد الحديثان أن محسن اسم من أسماء الله فالاتصاف بهذا الإسم الكريم محبوب عند الله يزيد الله في إكرام من اتصف به قال المناوي في فيض القدير (٢٦٤/٢): «أي الإحسان له وصف لازم ولا يخلو موجود عن إحسانه طرفة عين فلا بد لكل مكون من إحسانه إليه بنعمة الإيجاد ونعمة الإمداد»

الحديث الثاني: عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللهﷺ إن الله جواد يحب الجود. أخرجه الترمذي (رقم/٢٧٩٩) والدولابي في الكنى (رقم/١٢٠٣).

وعن طلحة بن عبيد الله بن كريز قال: قال رسول اللهﷺ إن الله جواد يحب الجود. أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق (١٢٩٠/٣) وأبو عبيد في فضائل

القرآن (رقم/٥٢) وغيرهم وهو حديث حسن، وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٢٩/٥) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قلت: الجود هو بذل ما يمكن بذله وقد جعل ابن القيم مراتب الجود عشرا قال في مدارج السالكين (٢/٢٩٣-٢٩٦): والجود عشر مراتب.

إحداها: الجود بالنفس. وهو أعلى مراتبه، كما قال الشاعر:

يجود بالنفس، إذ ضن البخيل بها .... والجود بالنفس أقصى غاية الجود

الثانية: الجود بالرياسة. وهو ثاني مراتب الجود. فيحمل الجواد جوده على امتهان رياسته، والجود بها. والإيثار في قضاء حاجات الملتمس.

الثالثة: الجود براحته ورفاهيته، وإجمام نفسه. فيجود بها تعبا وكدا في مصلحة غيره. ومن هذا جود الإنسان بنومه ولذته لمسامره، كما قيل:

متيم بالندى، لو قال سائله .... هب لي جميع كرى عينيك، لم ينم

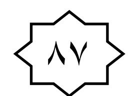
الرابعة: الجود بالعلم وبذله. وهو من أعلى مراتب الجود. والجود به أفضل من الجود بالمال. لأن العلم أشرف من المال.

الخامسة: الجود بالنفع بالجاه. كالشفاعة والمشي مع الرجل إلى ذي سلطان ونحوه. وذلك زكاة الجاه المطالب بها العبد. كما أن التعليم وبذل العلم زكاته.

السادسة: الجود بنفع البدن على اختلاف أنواعه.

السابعة: الجود بالعرض، كتحمل الشتم والسب

الثامنة: الجود بالصبر، والاحتمال، والإغضاء. وهذه مرتبة شريفة من مراتبه. وهي أنفع لصاحبها من الجود بالمال، وأعز له وأنصر، وأملك لنفسه، وأشرف لها. ولا يقدر عليها إلا النفوس الكبار.



التاسعة: الجود بالخلق والبشر والبسطة. وهو فوق الجود بالصبر، والاحتمال والعفو. وهو الذي بلغ بصاحبه درجة الصائم القائم. وهو أثقل ما يوضع في الميزان. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**لا تحقرن من المعروف شيئا، ولو أن تلقى أخاك ووجهك منبسط إليه**» وفي هذا الجود من المنافع والمسار، وأنواع المصالح ما فيه. والعبد لا يمكنه أن يسعهم بخلقه واحتماله.

العاشرة: الجود بتركه ما في أيدي الناس عليهم. فلا يلتفت إليه. ولا يستشرف له بقلبه، ولا يتعرض له بحاله، ولا لسانه. وهذا الذي قال عبد الله بن المبارك: إنه أفضل من سخاء النفس بالبذل».

قلت: كل نوع من هذه الأنواع تجعل كل مسلم ومسلمة يطمع في جود الله فأضعف مسلم يقدر على بعضها وعلى هذا فلن يحرم مسلم ولا مسلمة من جود الله الواسع في الدنيا والآخرة.

ويستفاد من هذا الحديث قاعدة عظيمة وهي أن الله يحب من عباده الذين يتصفون بصفة من صفاته فكيف لو اتصفوا بأكثر من ذلك ويستفاد منه أنه يثيب على كل صفة منها ما لا يثيب على غيرها فما ظنك بهذا الجود الإلهي بل ما ظنك بجوده سبحانه على من كان جوده على عباد الله بعموم الأنواع المذكورة في كلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فله من جود الله ما لا تقدر على وصفه وما لا نهاية له وأعظم من كل ما سبق حب الله للأجواد فحبه لهم أعظم من جوده سبحانه عليهم بالمال وعافية الأبدان وغير ذلك من عطائه لهم في الدنيا.

ولا يخفى على اللبيب أن جود الله على عباده بحسب ما اقتضته حكمته قال ابن القيم في كتاب الروح (٢/٦٦٢): «والله سبحانه هو الجواد على الإطلاق بل جود في العالم العلوي والسفلي بالنسبة إلى جوده أقل من قطرة في بحار الدنيا

وهي من جوده ومع هذا فإنما ينزل بقدر ما يشاء وجوده لا يناقض حكمته ويضع عطاءه مواضعه وإن خفي على أكثر الناس أن تلك مواضعه فالله أعلم حيث يضع فضله وأي المحال أولى به، والله أعلم».

الحديث الثالث: عن سهل بن سعد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ «**إن الله كريم يحب الكرم**». أخرجه الحاكم (٤٨/١) والبيهقي في السنن الكبرى (٣٢٢/١٠) وفي الشعب (٣٧٢/١٠) وأبو نعيم في الحلية (٢٥٥/٣) (١٣٣/٨) وهو صحيح.

وعن سعد بن أبي وقاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ إن الله كريم يحب الكرماء. أخرجه ابن عساكر (٢٨٩/١٤).

قلت: الكريم اسم من أسماء الله الحسنى والصفة منه الكرم الإلهي وهذا الاسم مجمع عليه، أنه من أسماء الله، وقد حكى ابن العربي رَحِمَهُٱللَّهُ في معنى الكريم ستة عشر قولا:

الأول: الذي يعطي لا لعوض.

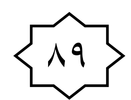
الثاني: الذي يعطي بغير سبب.

الثالث: الذي لا يحتاج إلى الوسيلة.

الرابع: الذي لا يبالي من أعطى ولا من يحسن كان مؤمنا أو كافرا مقرا أو جاحدا.

الخامس: الذي يستبشر بقبول عطائه ويسر به.

السادس: الذي يعطي ويثني كما فعل بأوليائه حبب إليهم الإيمان وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان ...



السابع: أنه الذي يعم عطاؤه المحتاجين وغيرهم.

الثامن: أنه الذي يعطي من يلومه.

التاسع: أنه الذي يعطي قبل السؤال قال الله العظيم: وآتاكم من كل ما سألتموه.

العاشر: الذي يعطي بالتعريض.

الحادي عشر: أنه الذي إذا قدر عفى.

الثاني عشر: أنه الذي إذا وعد وفى.

الثالث عشر: أنه الذي ترفع إليه كل حاجة صغيرة كانت أو كبيرة.

الرابع عشر: أنه الذي لا يضيع من توسل إليه ولا يترك من التجأ إليه.

الخامس عشر: أنه الذي لا يعاتب.

السادس عشر: أنه الذي لا يعاقب». نقلا من النهج الأسمى (١/٣٧٩-٣٨٠).

قلت: كل هذه الأنواع التي ذكرها ابن العربي من كرم الله في الجملة بل كرم ربنا سبحانه أوسع وأوسع بل لا نهاية لكرمه ولا نفاد لعطائه بل كرمه لعباده في الدنيا متصل بكرمه لهم في الآخرة الذي لا نفاد له قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [ص : ٥٤].

الحديث الرابع: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل...**» أخرجه البخاري (رقم/٦٦٠) ومسلم (رقم/١٠٣١) وقد جاء الحديث عن سلمان وأبي سعيد الخدري قال ابن عبد البر في التمهيد (٢/٢٨٢) في هذا الحديث: «هذا أحسن حديث يروى في فضائل الأعمال وأعمها وأصحها إن شاء الله وحسبك

به فضلا لأن العلم محيط بأن كل من كان في ظل الله يوم القيامة لم ينله هول الموقف». قال الحافظ في الفتح (٢/١٤٤-١٤٥): «المراد به صاحب الولاية العظمى ويلتحق به كل من ولي شيء من أمور المسلمين فعدل فيه».

قلت: الإمام الأعظم العدل أعظم الناس أجرا على الإطلاق بالإجماع قال العز بن عبد السلام في قواعد الأحكام (١/١٢١): «وعلى الجملة فالعادل من الأئمة والولاة والحكام أعظم أجرا من جميع الأنام بإجماع أهل الإسلام».

وقال النووي في شرح مسلم (١٢/١٧٧): «من كان أهلا للولاية وعدل فيها فله فضل عظيم... وإجماع المسلمين منعقد عليه».

قلت: الإجماع منعقد على أن الفضل والأجر العظيم هو للسلطان الأعظم ما أقام العدل.

الحديث الخامس: عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان أخوان على عهد رسول الله ﷺ فكان أحدهما يأتي النبي ﷺ والآخر يحترف فشكا المحترف أخاه إلى النبي ﷺ فقال: «**لعلك ترزق به**». أخرجه الترمذي (رقم/٢٣٤٥) والحاكم (١/١٧٢) وهو صحيح

بل أخرج البخاري (رقم/٢٨٩٦) عن مصعب بن سعد، قال: رأى سعد رضي الله عنه، أن له فضلا على من دونه، فقال النبي ﷺ: «**هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم**».

وعند النسائي (رقم/٣١٧٨) فقال نبي الله تعالى: «**إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها، بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم** ».

ومن حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا بلفظ: ابغوني الضعفاء «**فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم**» أخرجه أبو داود (رقم/٢٥٩٤) والترمذي (رقم/١٧٠٢) والنسائي (رقم/٣١٧٩)

قال المناوي في فيض القدير (٨٢/١): (فإنما ترزقون) تمكنون من الانتفاع بما أخرجنا لكم (وتنصرون) تعانون على عدوكم ويدفع عنكم البلاء والأذى.

قلت: هذا الحديث كشف أمورا عظيمة الغفلة عنها حاصلة ومنها الآتي:

١ – قد جعل الله أسبابا لنيل ما عنده فالنصر منه قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [ال عمران: ١٢٦]. والرزق من عنده قال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر: ٣]. ولكل واحد منهما أسباب ومن هذه الأسباب وجود الفقراء والمساكين خصوصا الصالحين فإن الله يرزق الناس وينصرهم بهم.

٢ – حصول الأغنياء على الغني والمجاهدين في سبيل الله على النصر له أسباب ظاهرة وخفية ومن أسبابه الخفية على بعض الناس الإحسان إلى الفقراء والمساكين خصوصا الصالحين فينزل الله بسبب الإحسان إليهم النصر وييسر الله الأرزاق

٣ – دل الحديث على أن شأن الفقراء الصالحين عند الله أعظم وأعظم ممن عداهم لأن الله يدفع بهم عن الشعوب والدول ما اقتضت حكمته من دفع القحط والجدب والهزائم وغير ذلك.

٤ – أفاد الحديث أن صلاح أحوال المسلمين بالاستقامة والتمسك بالإسلام لأنه إذا كان صلاح الفقراء سببا للرزق والنصر فصلاح عموم المسلمين أنفع لهم وأنفع.

٥ – يستنبط من الحديث أن التفرغ للعلم النافع الديني من أعظم ما يصلح الله به الأحوال ويدفع به الشرور ويوجب الإنفاق في ذلك.

٦ – الحديث حجة على أن الفقر ليس ممدوحا لذاته ولا من ابتلي به إلا إذا صاحب المبتلون به الصلاح والاستقامة على الخير بدليل قوله: «بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم».

الحديث السادس: عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ «**ما أحب عبد عبدا لله إلا أكرمه الله عَزَّوَجَلَّ**». أخرجه أحمد واليهقي في الشعب والخرائطي في مكارم الأخلاق (رقم/٧٦٣) واللفظ له وإسناده جيد

قلت: فوائد هذا الحديث نفيسة:

الأولى: التشويق الحثيث إلى حب المؤمنين لله لا لشيء من حطام الدنيا.

الثانية: شمل الحديث أن الحب في الله يكون لعموم المؤمنين كبارهم وصغارهم وقريبهم وبعيدهم وحاكمهم ومحكومهم على حسب منازلهم فالذين دعت الشريعة إلى كمال حبهم هم الأنبياء والمرسلون ومن كان دون ذلك فيحب بقدر صلاحه وبهذا الميزان في الحب في الله والبغض في الله قامت به السماوات والأرض وعبد الله بحق وتحقق الإيمان فرعا وكمالا.

الثالثة: أفاد الحديث سعة كرم الله لمن يحب فيه فإن قوله «أكرمه الله» شامل للإكرام الديني والدنيوي والأخروي وهذا أوسع كرم ولا يقدر عليه إلا

الله ولا يعطيه إلا للخلص من عباده فالمحب لله في الحقيقة أكرم نفسه ولم يحرمها وأعزها ولم يهنها فيا له من إكرام.

الرابعة: يفهم من الحديث أن موافقة المؤمنين له سبحانه فيما يحبه لها شأن عظيم وهي من أسباب الكرم الواسع الذي ذكرناه في البند الثالث فيا لها من موافقة ما أبركها

الخامسة: يفهم من الحديث أنه ما أحب عبد عبدا لغير الله إلا أهانه الله اللَّهُمَّ سلم سلم قال ابن القيم في مدارج السالكين (٢/٢٨٦): وقد جرت سنة الله التي لا تبديل لها أن من آثر مرضاة الخلق على مرضاته أن يسخط عليه من آثر رضاه ويخذله من جهته ويجعل محنته على يديه

الحديث السابع: عن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا**». أخرجه أبو داود (رقم/٥٢١٢) والترمذي (رقم/٢٧٢٧) وابن ماجة (رقم/٣٧٠٣) وأحمد (رقم/١٨٥٤٧) وصححه الألباني.

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: « **ما من مسلمين التقيا، فأخذ أحدهما بيد صاحبه، إلا كان حقا على الله أن يحضر دعاءهما، ولا يفرق بين أيديهما حتى يغفر لهما**». أخرجه أحمد (٣/١٤٢) وهو حسن.

الحديث الثامن: عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أخرج من طريق المسلمين شيئا يؤذيهم كتب الله له به حسنة ومن كتب له عنده حسنه أدخله بها الجنة**». أخرجه الطبراني في الأوسط (رقم/٣٢) وقد جاء من

حديث معقل المزني عند البخاري في الأدب المفرد (رقم/٥٩٣) والطبراني في الكبير (٢١٦/٢٠).

والحديث قد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: «**بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره، فشكر الله له فغفر له**» رواه البخاري (رقم/٦٥٢) ومسلم (رقم/١٩١٤).

وفي لفظ لمسلم:

عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ، قال: «**إن شجرة كانت تؤذي المسلمين، فجاء رجل فقطعها، فدخل الجنة**»

قال ابن الأمير في التنوير (٦١/١٠) (من أخرج من طريق المسلمين شيئاً يؤذيهم) وهي أحد شعب الإيمان كما سلف وذلك من حجر أو شوك أو نحوه. (كَتبَ الله له به حسنة، ومن كَتبَ الله له عنده حسنة أدخله بها الجنة) فمن أخذ شيئاً من طريق المسلمين يؤذيهم أدخله الله الجنة، وفيه أن من وضع في طريقهم ما يؤذيهم كتب الله عليه سيئة.

الحديث التاسع: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ: «**أسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها أما والله أما إني لم أقلها ولكن قالها الله عَزَّوَجَلَّ**». أخرجه البخاري إثر حديث (رقم/٣٥١٤) ومسلم (رقم/٢٥١٦) واللفظ له.

وأخرجه مسلم (رقم/٢٥١٥) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وأخرجه مسلم (رقم/٢٥١٤) من حديث أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأخرجه أحمد (٤٢٠/٤، ٤٢٤) والبزار كما في كشف الأستار (رقم/٢٨١٨) والطيالسي (رقم/٩٢٥) وأبو يعلى (رقم/٧٤٣٨) عن أبي برزة الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأخرجه

البخاري (رقم/٣٥١٣) ومسلم (رقم/٢٥١٨) والترمذي (رقم/٣٩٤١، ٣٩٤٩) وأحمد (٢٠/٢) عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا وأخرجه أحمد (٤٨/٤) وابن أبي شيبة (٤١٢/٦) (رقم/٣٢٤٨٢) والطبراني في الكبير (رقم/٦٢٥٥) من حديث سلمة بن الأكوع رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وأخرجه مسلم (رقم/٢٥١٧) والبخاري في التاريخ الكبير (٢١٥/٣) وأحمد (٥٧/٤) من حديث خفاف بن إيماء الغفاري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

قال ابن قرقول في مطالع الأنوار على صحاح الآثار (٤٩٩/٥) قلت: وهذا التسليم هو هداها إلى أن أسلمت فسلمت من القتل والسبي.

وقال العيني في عمدة القاري (٢٧/٧) يحتمل أن يكون دعاء لها إن يسالمها الله تعالى، ولا يأمر بحربها، أو يكون إخبارا بأن الله قد سالمها ومنع من حربها، وإنما خصت هاتان القبيلتان بالدعاء لأن غفارا أسلموا قديما، وأسلم سالموا النبي ﷺ.

قلت: ومما يستفاد من الحديث أن الاسم الطيب للقبيلة له أثر حسن عليها فلتحرص القبيلة على المحافظة على مضمون اسمها الطيب.

الحديث العاشر: عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ إذا جاء أحدكم إلى القوم فوسع له فليجلس فإنما هي كرامة من الله أكرمه بها أخوه المسلم فإن لم يوسع له فينظر أوسع موضع فليجلس فيه. رواه أبو بكر الشيرازي في "سبعة مجالس من الأمالي" والخطيب في "التاريخ" انظر السلسلة الصحيحة (رقم/١٣٢١)

قلت: يؤخذ من هذا الحديث أن كل خير تعامل به أحد مع أحد هو من تيسير الله فإن كان هذا الخير إكرام للشخص فهو إكرام له من الله ألا نشكر الله الذي يسخر من عباده لمن يشاء من عباده؟

الفصل الثاني

الإساءة في معاملة المسلمين

تجلية الإساءة إلى الناس وبيان قبحها وإظهار عيوبها والكشف عن غوائلها بالقرآن والسنة وآثار السلف وكلام أهل العلم مطلب مهم وعمل متحتم على كل عالم سهلت عليه مسالك هذا الفصل واتضحت لديه مداركه وتجلت له أصوله وقواعده وهذا الفصل يقوم على قواعد وأصول وضوابط سنذكر منها ما له صلة قوية به فأقول:

الأصل الأول: الله غيور على حقوق عباده كغيرته على حقوقه

إذا انتهكت حقوق المسلمين أو مُنعوا منها فالله عَزَّوَجَلَّ يغار على عباده هؤلاء خصوصا الأنبياء والمرسلين وأتباعهم فيعادي من عادى رسله وأنبياءه ويحارب من حاربهم وينكل بهم في الدنيا والآخرة وهكذا يفعل سبحانه بمن عادى خلفاء الأنبياء والرسل أهل الإتباع ومن كان على أثرهم، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول اللهﷺ: «**إن الله قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب**». رواه البخاري (رقم/٦٥٠٢) وأخرجه الطبراني في الأوسط من حديث عائشة وأخرجه الطبراني في الأوسط (١٩٢/١) من حديث أنس مرفوعا بلفظ: «من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة» ومن حديث معاذ بلفظ: من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة.

وقد جاء عن صحابة آخرين ومنهم أبو أمامة عند الطبراني في الكبير (٢٢١/٨) وابن عباس عند الطبراني في الكبير (١٤٥/١٢) وغيرهم.

قلت: هذا الحديث هو المعروف بحديث الولي قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله تعالى كما في مجموع الفتاوى (١٢٩/١٨): هو أشرف حديث روي في صفة الأولياء»

وقال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة كتابه قطر الولي على حديث الولي: أحببت أن أفرد هذا الحديث الجليل بمؤلف مستقل، أنشر من فوائده ما تبلغ إليه الطاقة ويصل إليه الفهم، وما أحقه بأن يفرد بالتأليف»

وقال السعدي في بهجة قلوب الأبرار (ص/٩٧) هذا الحديث جليل أشرف حديث في أوصاف الأولياء وفضلهم ومقاماتهم».

قلت: قال الحافظ في الفتح (٤١٦/١١) وقد استشكل وقوع المحاربة وهي مفاعلة من الجانبين مع أن المخلوق في أسر الخالق والجواب أنه من المخاطبة بما يفهم فإن الحرب تنشأ عن العداوة والعداوة تنشأ عن المخالفة وغاية الحرب الهلاك والله لا يغلبه غالب فكأن المعنى فقد تعرض لإهلاكي إياه فأطلق الحرب وأراد لازمه أي أعمل به ما يعمله العدو المحارب».

وقال الشوكاني في قطر الولي (ص/٣٤٧): لما كان معاندا لله عز وجل بعداوة أوليائه بمنزلة من أقام نفسه مقام المحارب لله سبحانه، وإن كان في أسره وتحت حكمه باعتبار الحقيقة، وأنه أحقر وأقل من أن يحارب ربه لكنها خيلت له نفسه الأمارة بالسوء هذا الخيال الباطل فعادى من أمره الله بموالاته ومحبته مع علمه بأن ذلك مما يسخط الرب ويوجب حلول العقوبة عليه وإيقاعه في المهالك التي لا ينجو منها».

الأصل الثاني: جرت سنة الله أن يسلط الظالمين على من ظلم العباد

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ١٢٩ ﴾ [الانعام: ١٢٩].

قال قتادة: وإنما يولي الله بين الناس بأعمالهم، فالمؤمن ولي المؤمن أين كان وحيث كان، والكافر ولي الكافر أينما كان وحيثما كان. ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي. رواه ابن جرير في "جامع البيان" (١٢/ ١١٩).
أينما

وعن منصور ابن أبي الأسود قال: سألت الأعمش عن قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ١٢٩ ﴾ ما سمعتهم يقولون فيه قال: «سمعتهم يقولون اذا فسد الناس أمر عليهم شرارهم» رواه أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء (٥/٥٠ـ٥١)

قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة (٢٥٣/١): وتأمل حكمته تعالى في تسليط العدو على العباد إذا جار قويهم على ضعيفهم ولم يؤخذ للمظلوم حقه من ظالمه، كيف يسلط عليهم من يفعل بهم كفعلهم برعاياهم وضعفائهم سواء، وهذه سنة الله تعالى منذ قامت الدنيا إلى أن تطوى الأرض ويعيدها كما بدأها .

وتأمل حكمته تعالى في أن جعل ملوك العباد وأمراءهم وولاتهم من جنس أعمالهم، بل كأن أعمالهم ظهرت في صور ولاتهم وملوكهم؛ فإن استقاموا استقامت ملوكهم، وإن عدلوا عدلت عليهم، وإن جاروا جارت ملوكهم وولاتهم، وإن ظهر فيهم المكر والخديعة فولاتهم كذلك، وإن منعوا حقوق الله لديهم وبخلوا بها منعت ملوكهم وولاتهم ما لهم عندهم من الحق وبخلوا بها

عليهم، وإن اخذوا ممن يستضعفونه مالا يستحقونه في معاملتهم أخذت منهم الملوك مالا يستحقونه وضربت عليهم المكوس والوظائف، وكل ما يستخرجونه من الضعيف يستخرجه الملوك منهم بالقوة، فعمالهم ظهرت في صور أعمالهم .

وليس من الحكمة الإلهية أن يولى على الأشرار الفجار إلا من يكون من جنسهم .

ولما كان الصدر الأول خيار القرون وأبرها كانت ولاتهم كذلك، فلما شابوا شيبت لهم الولاة، فحكمه الله تأبى أن يولي علينا في مثل هذه الأزمان مثل معاوية وعمر بن عبد العزيز، فضلا عن مثل أبي بكر وعمر، بل ولاتنا على قدرنا وولاة من قبلنا على قدرهم وكل من الأمرين موجب الحكمة ومقتضاها».

قلت: ظاهر سياق الآية أن معنى نولى: نسلط وهذا التسليط أمر مشاهد يسلط الله من ظلم من الأفراد من الرعية على بعضهم بعضا والأحزاب بعضها على بعض وتسليطها أشد من أي تسليط قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الانعام: ٦٥]. والإذاقة هنا بالقتل وغيره قال الماوردي في تفسيره (١٢٧/٢): «وقول الجمهور: ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ﴾ يعني بالحروب والقتل حتى يفني بعضهم بعضا ، لأنه لم يجعل الظفر لبعضهم فيبقى»

قلت: ويسلط الله الحكام على المحكومين ويسلط الله الحكام على بعضهم بعضا ويسلط الله صناديد الكفر على الحكام المسلمين الظالمين والقاعدة ما من ظالم إلا وسيبلى بظالم آخر فمن سلط الله عليه ظالما فلينظر من ظلم إذ لا يقع هذا

التسليط في الغالب إلا من ظلم ولو عقل المسلمون هذا الأصل لنجوا من كثير من البغي والعدوان ولو أن من حدثته نفسه بالظلم ذكرها بهذا الأصل لعافته ورضيت بالسلامة ولكن يركب الشيطان على بعض الناس ويزين لهم الظلم حتى يقعوا في المهالك فإنا لله وإنا إليه راجعون

الأصل الثالث: من ظلم العباد لا يأمن من أن يعجل الله له العقوبة في الدنيا

العقوبة من الله على من ظلم العباد منها ما يكون معجلا فقد ثبت عن أبي بكرة قال: قال رسول الله ﷺ «**ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من قطيعة الرحم والخيانة والكذب**». أخرجه أبو داود (٢/٣٠١-٣٠٢) والترمذي (٢٥١١) وابن ماجه ٤٢١١) وغيرهم.

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**بابان معجلان عقوبتهما في الدنيا البغي والعقوق**». أخرجه الحاكم (٤/١٧٧) وصححه الألباني في الصحيحة (١١٢٠)

وقد جاء من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البيهقي في السنن (١٠/٦٢) والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٥/٢٦٠).

وقد شاع الظلم عند كثير من الناس حتى قال الشاعر المتنبي:

والظلم من شيم النفوس وإن تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

قال الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص/١٣٤): وهذه العلة المانعة من الظلم لا تخلو من أحد أربعة أشياء: إما عقل زاجر، أو دين حاجر، أو سلطان رادع، أو عجز صاد. فإذا تأملتها لم تجد خامسا يقترن بها.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (٥٤/١): طبع النفس الظلم لمن لا يظلمها فكيف بمن ظلمها.

وأشد الظلم ما كان من الأقارب، قال الشاعر:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

الأصل الرابع: من آذى عباد الله ترفعا عليهم وضعه الله

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان للنبي ﷺ ناقة تسمى العضباء، لا تسبق -: أو لا تكاد تسبق - فجاء أعرابي على قعود فسبقها، فشق ذلك على المسلمين حتى عرفه، فقال: «**حق على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه**» رواه البخاري (رقم/٢٨٧٢) والنسائي (رقم/٣٥٨٨) وفي لفظ للنسائي (رقم/٣٥٩٢): حق على الله أن لا يرفع شيء نفسه في الدنيا إلا وضعه. وأخرجه البزار (رقم/٣٦٩٤) والدارقطني في سننه (٣٠٢/٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال ابن بطال في شرح البخاري (٢١٢/١٠): فنبّه بذلك أمته ﷺ على ترك المباهاة والفخر بمتاع الدنيا، وأن ما كان عند الله في منزلة الضعة، فحق على كل ذي عقل الزهد فيه وقلة المنافسة فى طلبه، وترك الترفع والغبطة بنيله، لأن المتاع به قليل والحساب عليه طويل».

فائدة: قال ابن القيم في الفروسية (٩١): إنه سبحانه إذا رفع عبده بطاعته وأعزه بها لا يضعه أبدا».

قاعدة كبرى في اجتناب الإساءة إلى العباد وهي: لا ضرر ولا ضرار

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا ضرر ولا ضرار**» أخرجه الدارقطني (رقم/٣٠٧٩) والبيهقي في الكبرى (٩٦/٦) والحاكم (٥٧/٢) وجاء من حديث عبادة بن الصامت عند أحمد (٣٢٧/٥) وابن ماجه (رقم/٢٣٤٠) وعبد الله بن عباس عند أحمد (٣١٣/١) وابن ماجه (رقم/٢٣٤١) وأبي هريرة عند الدارقطني (٢٢٨/٤) وعائشة بنت أبي بكر الصديق عند الطبراني في الأوسط (رقم/٢٧٠) وثعلبة بن أبي مالك عند الطبراني في الكبير (رقم/١٣٨٧).

قلت: لا خلاف بين أهل العلم أن هذا الحديث من جوامع الكلم التي أوتيها النبي ﷺ. ولا خلاف بين جمهورهم أنه من الأحاديث التي عليها مدار الإسلام وهو قاعدة كبرى من القواعد الفقهية نص على هذا عدد كبير من أهل العلم وفرَّعوا على هذه القاعدة قواعد كثيرة بعضهم جعلها عشرًا وبعضهم زاد على ذلك.

وخلاصة هذا الحديث العظيم أنه يدخل فيه النهي عن الضرر في كل جوانب التعامل مع المسلمين ابتداء وانتهاء ومجازاة فلو عُمِل به حق العمل ما حصل تعمد اعتداء على أحد لا ابتداء ولا مجازاة وكل الفتن والشرور الدائرة بين المسلمين لا تخرج عن هذين الأمرين إما فتن ابتداء وإما مجازاة فمن نجا من إثارة الفتن في كلا الحالتين فقد نجا.

قاعدة: كل من أحدث ظلما في العباد فعليه مثل أوزار من تبعه إلى يوم القيامة

أخرج البخاري (رقم/٣٣٣٥) ومسلم (رقم/١٦٧٧) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول اللهﷺ: لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل»

قال النووي في شرح مسلم (١٦٦/١١): وهذا الحديث من قواعد الإسلام وهو أن كل من ابتدع شيئا من الشر كان عليه مثل وزر كل من اقتدى به في ذلك العمل مثل عمله إلى يوم القيامة ومثله من ابتدع شيئا من الخير كان له مثل أجر كل من يعمل به إلى يوم القيامة».

وقال ابن حجر الهيتمي في فتح المبين (٣١٥) هذا الحديث من القواعد الخطيرة لتعلقه بأخطر الأشياء وهو الدماء».

عن جرير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال قال رسول اللهﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» رواه مسلم (رقم/١٠١٧) وقد جاء من حديث أبي جحيفة عند ابن ماجه (رقم/٢٠٧) وحذيفة عند الطبراني في الأوسط (رقم/٣٦٩٣) وواثلة بن الأسقع عند الطبراني في الكبير(٧٤/٢٢رقم/١٨٤).

قلت: قال القرطبي في تفسيره (٨٧/٢) في حديث: «**من سن في الإسلام**»: هو أصل هذا الباب.

وقال الشوكاني في نيل الأوطار (٥٧/٧): هو أصل في أن المعونة على ما لا يحل حرام.

قلت: حديث ابن مسعود وأبي هريرة دالان على أن إحداث البدع أو المعاصي حرام في الإسلام وأن من اتبع فيما أحدث يلحقه من الإثم والوزر مثل أوزار من عملوا بما أحدثه.

قاعدة: كل من أعان على خصومة بظلم لم يزل في سخط الله حتى ينزع

عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رسول اللهﷺ: «**ومن خاصم في باطل وهو يعلم لم يزل في سخط الله حتى ينزع**» رواه أحمد (٧٠/٢) والحاكم (١١١/٤) وأبو داود (رقم/٣٥٩٧).

وجاء عن عبد الله بن عمرو عند الحاكم (٣٢/٢).

وجاء عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عند الطبراني في الأوسط (رقم/٨٥٥٢) والبيهقي في الشعب (رقم/٧٢٧١) وصححه الألباني في الإرواء (رقم/٢٣١٨) وفي السلسلة الصحيحة (رقم/٤٣٧)

قاعدة عظيمة وهي: الله أقدر على الظالم من الظالم على المظلوم

روى الإمام مسلم (رقم/١٦٥٩) عن أبي مسعود البدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: كنت أضرب غلاما لي بالسوط، فسمعت من خلفي صوتا «اعلم، أبا مسعود، لله أقدر عليك منك عليه» فالتفت فإذا هو رسول اللهﷺ فقلت يا رسول الله هو حر لوجه الله فقال أما لو لم تفعل للفحتك النار».

قلت: لو جعل المسلمون هذا الحديث نصب أعينهم لكرهوا الظلم واجتنبوه بكل ما أوتوا ألا ترى إلى الهيبة في هذا الحديث التي تملئ القلوب رعبا وخوفا من جبار السموات والأرض الذي بطشه شديد وعقابه أليم وهو أشد بأسا وأشد تنكيلا فالله أقدر على فضح من يفضح عباده وأقدر على المكر بمن يمكر بعباده وأقدر على تشريد من شرد أحدا من عباده وأقدر على قتل من قتل عباده وأقدر على الحرمان من الرزق ممن حرم عباده فالعبد الظالم للعباد في قبضة من له ملكوت السموات والأرض وحياته بيد من يقول للشيء كن فيكون وأرزاقه بيد الرزاق ذي القوة المتين وقوته وضعفه ونصره وهزيمته وعطاؤه ومنعه وخفضه ورفعه وعزته وذله بيد علام الغيوب وسعادته وشقاؤه وهدايته وإضلاله وتوفيقه بيد من له الأمر كله وبيده الخير كله فما أعظم غفلة من ظلم العباد عن مراقبة الله وتعظيمة وعن خشيته وتصديقه أليس المسلم يخاف من تهديد له من مخلوق مثله ألا تخاف من القاهر فوق عباده ومن لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه في الدنيا والآخرة أعوذ بالله من الجهل بالله ومن الغفلة عن عظمة الله ومن الضعف في معرفة الله.

فائدة: قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في جامع المسائل (١٦٨/١): العباد آلة فانظر إلى الذي سلطهم عليك ولا تنظر إلى فعلهم بك تسترح من الهم والغم.

قاعدة: كل من ظلم العباد ولم يتحلل ممن ظلمهم اقتص لهم منه يوم القيامة

روى مسلم (رقم/٢٥٨٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ «**قال لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجماء من الشاة القرناء**».

قال ابن الأمير في شرح التنوير (٢٧/٩) تنطحها لما أصابتها به في الدنيا وكأنه تعالى يخلق للجلحاء قرونا تقتص بها أو يعرفها مقدار القصاص بغير القرن بما يؤلم قدر ألمه الذي أصابها في الدنيا.

وروى البخاري (رقم/٦٥٣٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلله منها، فإنه ليس ثم دينار ولا درهم، من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه»

وروى مسلم (رقم/٢٥٨١) عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ، قال: «**أتدرون ما المفلس؟**» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «**إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة، وصيام، وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار**».

وأخرج أحمد ٢٨٦/٣) وأبو داود (رقم/٣٤٥١) والترمذي (رقم/١٣١٤) وغيرهم عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: غلا السعر بالمدينة على عهد رسول الله ﷺ فقال الناس يا رسول الله غلا السعر سعر لنا فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله المسعر القابض الباسط الرزاق وإني لأرجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يطلبني بمظلمة في دم ولا مال**».

وعن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يجيء الظالم يوم القيامة، حتى إذا كان على جسر جهنم بين الظلمة، والوعرة لقيه المظلوم فعرفه، وعرف ما ظلمه به، فما يبرح الذين ظلموا يقضون من الذين ظلموا، حتى ينزعوا**

ما في أيديهم من الحسنات، فإن لم يكن لهم حسنات أدرك عليهم من سيئاتهم مثل ما ظلموا، حتى يوردوا الدرك الأسفل من النار» أخرجه الطبراني في الأوسط (رقم/٥٩٧٦) وهو صالح للتحسين.

وعن الحسن البصري قال: (ليأتين أناس يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال فما يزال يؤخذ منهم لمن ظلموا حتى يبقى مفلسا يفتل إلى النار) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد الزهد (رقم/١٤٧٦) وهو أثر صحيح

قال ابن رجب في شرح حديث لبيك اللّهُمَّ لبيك (ص/١٠٧): فظلم العباد شر مكتسب لأن الحق فيه لآدمي مطبوع على الشح فلا يترك من حقه شيئا لا سيما مع شدة حاجته يوم القيامة فإن الأم تفرح يومئذ إذا كان لها حق على ولدها لتأخذه منه».

وقال أيضًا في المصدر المذكور (١٠٦، ١٠٧): والظلم المحرم تارة يكون في النفوس وأشده في الدماء وتارة في الأموال وتارة في الأعراض ولهذا قالﷺ في خطبته في حجة الوداع إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا وفي رواية ثم قال ألا اسمعوا مني تعيشوا ألا لا تظالموا ألا لا تظالموا فإنه لا يحل مال امرىء مسلم إلا عن طيب نفس منه.

وفي صحيح مسلم عنهﷺ قال:«**كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**».

قلت: والقصاص يوم القيامة يكون بأخذ حسنات الظالم للمظلوم فإن لم يكن مع الظالم حسنات أو نفذت وبقيت عليه مظالم طرحت عليه من سيئات المظلوم فما أحسن حال المظلوم يوم القيامة وما أسوأ حال الظالم يوم

الحسرة والندامة فمن ذا يحب أن يلقى الله ظالما تؤخذ حسناته فيفلس أو يأخذ من سيئات من ظلمهم فيهلك فلو قال هذا الظالم لنفسه حين دعته إلى ظلم أحد من الناس: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ١٣﴾ [الزمر: ١٣]. لكان هذا من أسباب نجاته يوم القيامة وكان من الآمنين الفائزين بجنات النعيم ورضا رب العالمين.

وعلى كلٍّ، كم من مصل وصائم وحاج ومعتمر وواصل أرحامه وتال للقرآن ومتصدق لمن ظلمهم يأخذون ذلك يوم القيامة ألا يعقل من يظلم عباد الله وأما المظلومون فنقول لهم ألا تصبرون حتى يعطى لكم حقكم يوم القيامة كاملا وأنتم لحقكم يوم القيامة أحوج إليه منكم في الدنيا وهو لكم في الآخرة أنفع لكم منه في الدنيا فما أحمق الظالم وما أعجل المظلوم، فنعوذ بالله من ظلم عباده.

قاعدة إن الله يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته

عن أبي موسى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عَزَّوَجَلَّ يملي للظالم، فإذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ وكذلك أخذ ربك، إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد**» أخرجه البخاري (٤٦٨٦) ومسلم (رقم/٢٥٨٣).

قال البيحاني رَحِمَهُٱللَّهُ في إصلاح المجتمع (ص/١٣١) وقد يستبطئ الظالم عقوبة الله له فيتمادى في غيه ويستمر في ظلمه وجوره ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ١١﴾ [يونس : ١١]. ولكنه عَزَّوَجَلَّ يملي للظالم ويمهله عساه يتوب ولعله يرجع عن طغيانه فإذا أصر على مخالفته وأبى إلا اعتداءه على

الضعفاء والمساكين مستخفا بهم أو مغرورا بالإمهال أخذه الله أخذ عزيز مقتدر وضربه بسياط نقمته وجعل فيه عبرة للناظرين وموعظة للمتقين وعذاب الله أليم وبطشه شديد».

إذا أراد الله بعبده خيرا عجل له العقوبة في الدنيا

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة**» رواه الترمذي (رقم/٢٣٩٦) وأبو يعلى (رقم/٤٢٥٤) والبغوي في شرح السنة (٢٤٥/٥) والحاكم (٦٥١/٤) والبيهقي في الأسماء والصفات (رقم/٣١٦) ومن شواهده ما أخرجه أحمد (٨٧/٤) واللفظ له وابن حبان (رقم/٢٩١١) والحاكم (٣٤٩/١)، (٣٧٦/٤-٣٧٧) والبيهقي في الشعب (رقم/٩٨١٧) وفي الأسماء والصفات (رقم/٣١٥) وفي الآداب (رقم/٨٩٩).

عن عبد الله بن مغفل:. أن رجلا لقي امرأة كانت بغيا في الجاهلية، فجعل يلاعبها حتى بسط يده إليها فقالت: مه، فإن الله - عز وجل - قد ذهب بالشرك - قال عفان مرة: ذهب بالجاهلية، وجاءنا بالإسلام، فولى الرجل فأصاب وجهه الحائط فشجه، ثم أتى النبي - ﷺ- فأخبره فقال: " أنت عبد أراد الله بك خيرا، إذا أراد الله بعبد خيرا عجل له عقوبة ذنبه، وإذا أراد بعبد شرا أمسك عليه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة كأنه عير».قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٩١/١٠) رواه أحمد والطبراني... ورجال أحمد رجال الصحيح وكذلك أحد إسنادي الطبراني.

وله شاهد من حديث عمار بن ياسر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عند الطبراني قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٩٢/١٠): «إسناده جيد». وآخر من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عند الطبراني في الكبير (٣١٣/١١).

قاعدة: من رضي بظلم أحد من المسلمين فهو شريك الظالم

عن العرس ابن عميرة الكندي، عن النبيﷺ قال: «**إذا عملت الخطيئة في الأرض، كان من شهدها فأنكرها كان كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها، كان كمن شهدها**». أخرجه أبو داود (رقم/٤٣٤٥) والطبراني في الكبير (٣٤٥/١٧) وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٣٠٨/١) وأخرجه البيهقي (٥٨٦/٥) من حديث ابن مسعود.

قال المناوي في فيض القدير (٤٠٧/١) في قوله: ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها: أي حضرها في المشاركة في الإثم وأن بعدت المسافة بينهما لأن الراضي بالمعصية في حكم العاصي.

قاعدة: كل خصومة بين اثنين أو أكثر لم يحكم فيها بالحق فسيحكم الله فيها يوم القيامة

عن الزبير بن العوام، قال: لما نزلت هذه السورة على رسول اللهﷺ: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ قال الزبير: أي رسول الله أيكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب؟ قال: " نعم ليكررن عليكم حتى يؤدى إلى كل ذي حق حقه " فقال الزبير: والله إن الأمر لشديد. أخرجه الترمذي (رقم/٣٢٣٦) والحاكم (٤٣٥/٢)، (٥٧٢/٤)

وأحمد (١٦٧/١) واللفظ له قال ابن كثير في تفسيره (٥٢/٤) عند هذه الآية: «ثم إن هذه الآية -وإن كان سياقها في المؤمنين والكافرين، وذكر الخصومة بينهم في الدار الآخرة-فإنها شاملة لكل متنازعين في الدنيا، فإنه تعاد عليهم الخصومة في الدار الآخرة».

سر جامع في سبب الإساءة إلى العباد ألا وهو خسة النفس ودنائتها

قال ابن القيم في الفوائد (ص/١٧٧) وهو يتحدث عن النفس الأمارة بالسوء: وأصل الشر خستها ودناءتها وصغرها... والنفوس الدنيئة تحوم حول الدناءات وتقع عليها كما يقع الذباب على الأقذار»

وقال أيضًا (ص/١٣٥): إذا رأيت النفوس المبطلة الفارغة من الإرادة والطلب لهذا الشأن قد تشبثت بها هذا العالم السفلي وقد تشبثت به فكلها إليه فإنه اللائق بها لفساد تركيبها ولا تنقش عليها ذلك فإنه سريع الانحلال عنها»

وقال أيضا في مدارج السالكين (٢٦/٢): ومن هانت عليه نفسه وصغرت عنده ألقاها في الرذائل وأطلق شناقها وحل زمامها وأرخاه ودساها ولم يصنها عن قبيح فأقل ما في تجنب القبائح : صون النفس»

قلت: سبب قوة الشر في النفس هو ما قاله ابن القيم أيضا في مدارج السالكين (٢/ ١٩٥)

(فاعلم أن أسباب الخير ثلاثة: الإيجاد، والإعداد، والإمداد. فهذه هي الخيرات وأسبابها.

فإيجاد السبب خير. وهو إلى الله. وإعداده خير. وهو إليه أيضا. وإمداده خير. وهو إليه أيضا.

فإذا لم يحدث فيه إعداد ولا إمداد حصل فيه الشر بسبب هذا العدم).

قلت: مصداق ذلك قوله تعالى في المنافقين: (ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم)

وقال ابن القيم في الفوائد (ص/١٠٦-١٠٧): «سبحان الله في النفس كبر إبليس وحسد قابيل وعتو عاد وطغيان ثمود وجرأة نمرود واستطالة فرعون وبغي قارون وقحة هامان وهوى بلعام وحيل أصحاب السبت وتمرد لوليد وجهل أبي جهل وفيها من أخلاق البهائم حرص الغراب وشره الكلب ورعونة الطاووس ودناءة الجعل وعقوق الضب وحقد الجمل ووثوب الفهد وصولة الأسد وفسق الفأرة وخبث الحية وعبث القرد وجمع النملة ومكر الثعلب وخفة الفراش ونوم الضبع غير أن الرياضة والمجاهدة تذهب ذلك فمن استرسل مع طبعه فهو من هذا الجند ولا تصلح سلعته لعقد {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم} فما اشترى إلا سلعة هذبها الإيمان فخرجت من طبعها إلى بلد سكانه التائبون العابدون»

قلت: بل قال الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ٧، ١٠]. فقدم سبحانه إلهامها للفجور على التقوى ليبين لنا سرعة استجابة النفس الدنيئة للشر وقدم الفلاح في تزكيتها ليدلنا على تقبل النفس للإصلاح ولما كانت حاجة النفس إلى الإصلاح حاجة كبيرة فرض الله علينا ذلك بأقوى وآكد ألفاظ الفرض قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا﴾ [المائدة: ١٠٥]. وبين الله النهاية التي تؤول إليها النفس التي أهملت من الإصلاح قال تعالى:

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الحشر: ١٩]. فقوله:﴿ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ عقوبة شديدة معنوية وحسية قال ابن القيم في الجواب الكافي (١٨٩) وهو يتحدث عن ضرر المعصية على النفس: «ومن عقوباتها: أنها تصغر النفس، وتقمعها، وتدسيها، وتحقرها، حتى تصير أصغر شيء وأحقره»

الباب الثاني

سرد الأدلة المنفرة من سوء معاملة العباد بعضهم بعضا أو التقصير في الإحسان إليهم

الحديث الأول: عن جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**من لا يرحم لا يرحمه الله**».

قلت: هذا الحديث متواتر فقد ذكره السيوطي في قطف الأزهار المتناثرة (ص/١٨٢) عن تسعة من الصحابة وذكره الكتاني في نظم المتواتر (رقم/٢١٣) أيضًا عن تسعة من الصحابة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «**من لا يرحم لا يرحم**» أخرجه البخاري (رقم/٥٩٩٧) ومسلم (رقم/٢٣١٨).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: أتقبلون الصبيان؟ فما نقبلهم، فقال النبي ﷺ: «**أو أملك لك أن نزع الله من قلبك**

الرحمة» أخرجه البخاري (رقم/٥٩٩٨) ومسلم (رقم/٢٣١٧) وعند مسلم بلفظ: قدم ناس من الأعراب فقالوا... وأخرجه الترمذي (رقم/١٦٢٣) عن أبي هريرة مرفوعا قال: قال رسول اللهﷺ لا تنزع الرحمة إلا من شقي.

قال القاضي عياض في إكمال المعلم (٢٨٢/٧): قوله للذين قالوا: لا يقبلون أولادهم " أو أملك إن كان الله نزع من قلبك الرحمة " تفسيره ما جاء في رواية البخاري: " أو أملك لك إن نزع الله من قلبك الرحمة " ومعناه: أو أملك منك في ذلك حتى أصرفه عنك. اللام هنا بمعنى " منك "، وقد تكون الهمزة بمعنى " لا " على قول بعضهم في قوله: (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) إن معنى لا يفعل ذلك.

قال الطيبي في شرح المشكاة (١٩٧/٩-١٩٨) قوله " أو أملك " الهمزة الاستفهامية إنكارية " شف ": يروى "أن" بفتح الهزة فهي مصدرية، ويقدر مضاف، أي لا أملك لك دفع نزع الله من قلبك الرحمة. ويروى بكسر الهمزة شرطاً، وجزاءه محذوف من جنس ما قبله. أي إن نزع الله من قلبك الرحمة لا أملك لك دفعه ومنعه.

وعن قبيصة يعني ابن جابر، عن عمر، قال: من لا يرحم لا يرحم، ولا يغفر لمن لا يغفر، ولا يتب على من لا يتوب، ولا يوق من لا يتوق. أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٩١، ٩٥) وأبو داود في الزهد (٨٨) واللفظ له وهو صحيح.

وعن أبي عثمان أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ استعمل رجلا فقال العامل: إن لي كذا وكذا من الولد ما قبّلت واحدًا منهم فزعم عمر أو قال عمر: إن الله عَزَّوَجَلَّ لا يرحم من عباده إلا أبرهم. أخرجه البخاري في الأدب المفرد (رقم/٩٩) بإسناد حسن.

قال ابن بطال في شرح صحيح البخاري (٢١٩/٩) في هذه الأحاديث الحض على استعمال الرحمة للخلق كلهم كافرهم ومؤمنهم ولجميع البهائم والرفق بها. وأن ذلك مما يغفر الله به الذنوب ويكفر به الخطايا، فينبغي لكل مؤمن عاقل أن يرغب في الأخذ بحظه من الرحمة، ويستعملها في أبناء جنسه وفى كل حيوان، فلم يخلقه الله عبثًا، وكل أحد مسئول عما استرعيه وملكه من إنسان أو بهيمة لا تقدر على النطق وتبيين ما بها من الضر، وكذلك ينبغي أن يرحم كل بهيمة وإن كانت في غير ملكه، ألا ترى أن الذى سقى الكلب الذى وجده بالفلاة لم يكن له ملكًا فغفر الله له

قال المناوي في فيض القدير (٢٤٠/٦): دل بمنطوقه على أن من لم يكن رحيما لا يرحمه الله ومن لا يغفر لا يغفر الله له ومن شهد أفعال الحق في الخلق وأيقن بأنه المتصرف فيهم رحمهم ومن لم يرحمهم واشتغل بهم عن الحق كان سببا لمقته من الله وجلب كل رزية إليه ويدل على العكس بمفهومه وهو أن كل من كان رحيما يرحمه الله الرحمن ومن يغفر يغفر الله له.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (٢٩٢/١٥): فهذه الرحمة حسنة مأمور بها أمر إيجاب أو استحباب بخلاف الرأفة في دين الله فإنها منهي عنها.

وقال الشيخ ابن عثيمين في شرح رياض الصالحين (٥٥٤/٢): الذي لا يرحم الناس لا يرحمه الله عَزَّوَجَلَّ، والمراد بالناس: الناس الذين هم أهل للرحمة كالمؤمنين وأهل الذمة ومن شبابهم، وأما الكفار الحربيون فإنهم لا يُرحمون.

الحديث الثاني: عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ «**الظلم ظلمات يوم القيامة**». رواه البخاري (رقم/٢٤٤٧) ومسلم (رقم/٢٥٧٨).

وعن جابر بن عبد الله، أن رسول الله ﷺ، قال: «**اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم**» رواه مسلم (رقم/٢٥٧٨).

الحديث ذكره السيوطي في قطف الأزهار (ص/٢٠٣) عن ستة من الصحابة وذكره الكتاني في النظم (رقم/١٨٥) عن سبعة.

قال ابن الجوزي في كشف المشكل (٢/٥٥٩-٥٦٠) اعلم أن الظلم يشتمل على معصيتين عظيمتين: إحداهما: أخذ مال الغير بغير حق. والثانية: مبارزة الأمر بالعدل بالمخالفة، وهذه المعصية فيه أدهى؛ لأنه لا يكاد يقع الظلم إلا للضعيف الذي لا يقدر على الانتصار إلا بالله عز وجل. وإنما ينشأ الظلم من ظلمة القلب، ولو استنار بنور الهدى لنظر في العواقب، فإذا سعى المتقون بنورهم الذي اكتسبوه في الدنيا من التقوى ظهرت ظلمات الظالم فاكتنفته.

وقال المناوي في فيض القدير (١/١٣٤) «اتقوا الظلم» بأخذ مال الغير بغير حق أو التناول من عرضه ونحو ذلك قال بعضهم: ليس شيء أقرب إلى تغيير النعم من الإقامة على الظلم «فإن الظلم ظلمات يوم القيامة» فلا يهتدي الظالم يوم القيامة بسبب ظلمه في الدنيا.

قلت: قوله: «**الظلم ظلمات يوم القيامة**» تضمن أمورًا:

الأول: شؤم الظلم وسوء عاقبته على صاحبه في الآخرة ولهذا أطبق أهل العلم على ذم الظلم

الثانية: هذا اللفظ من جوامع الكلم التي أعطيها رسول الله ﷺ.

الثالثة: قيدت (الظلمات) بيوم القيامة لاجتماع أنواع من الظلم على صاحبه مما ظلم به العباد يأتي وقد شتم هذا وضرب هذا وسفك دم هذا وأخذ

مال هذا وغير ذلك ويضاف إلى ذلك شدائد يوم القيامة وأهواله وأيضًا ما هو قادم عليه من أمور الحساب والميزان والصراط وغير ذلك.

الرابعة: يستفاد من الحديث أن من مات على شيء من الظلم كان عليه من الظلمات بقدر ظلمه.

الخامسة: يستفاد من الحديث أن العدل كل العدل يوم القيامة

السادسة: في الحديث غاية الحث على العدل وأشد تحذير من الظلم

السابعة: في الحديث أن عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا

الثامنة: في الحديث أن العذاب الكامل على الظلمة في يوم القيامة

التاسعة: في الحديث الحث على النظر إلى عواقب الأمور فإن الظالم لو نظر إلى عاقبة الظلم في الدنيا والآخرة لم يقدم عليه ولكن الهوى يعمي ويصم

العاشرة: أفاد الحديث أن أي نوع من أنواع الظلم مضر يوم القيامة سواء كان ظلم النفس أو ظلم العباد في دمائهم أو أعراضهم أو أموالهم أو غير ذلك أما لو لقي الله بالشرك فهو أظلم الظلم قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣] .

الحديث الثالث: عن أبي هريرة، قال: قال رسول اللهﷺ: «**لا يأخذ أحد شبرا من الأرض بغير حقه، إلا طوقه الله إلى سبع أرضين يوم القيامة**» أخرجه مسلم (رقم/١٦١١) والحديث هذا متواتر فقد ذكره السيوطي في قطف الأزهار (ص/٢٥٨) عن أربعة عشر صحابيا وكذا الكتاني في النظم المتواتر (رقم/١٨٦).

الحديث الرابع: عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللهﷺ «من ضرب ضربا ظلما اقتص منه يوم القيامة». أخرجه البخاري في الأدب المفرد (رقم/١٨٥) والطبراني في الأوسط (رقم/١٤٤٥)

وعن عمار بن ياسر - رضي الله عنه - قال: لا يضرب أحد عبدا له وهو ظالم له إلا أقيد منه يوم القيامة » رواه البخاري في الأدب المفرد (رقم/١٨١)

وجاء مرفوعا بلفظ :

عن عمار بن ياسر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ضرب مملوكه ظالما أقيد منه يوم القيامة**» رواه أبو نعيم في الحلية (٣٧٨/٤) وهو مخرج في "سلسلة الأحاديث الصحيحة" للألباني رقم (٢٣٥٢).

وعن عائشة، أن رجلا قعد بين يدي النبيﷺ فقال: يا رسول الله، إن لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني، وأشتمهم وأضربهم فكيف أنا منهم؟ قال: «يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم، فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافا، لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلا لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل». قال: فتنحى الرجل فجعل يبكي ويهتف، فقال رسول اللهﷺ: " أما تقرأ كتاب الله ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٤٧]. الآية ". فقال الرجل: والله يا رسول الله ما أجد لي ولهم شيئا خيرا من مفارقتهم، أشهدك أنهم أحرار كلهم. أخرجه الترمذي (رقم/٣١٦٥) وأحمد (١٨٠/٦-١٨١) وقال الهيثمي في المجمع (٣٥٠/١٠-٣٥١): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. وصححه الألباني.

قلت: هذا الحديث وأمثاله قد أخاف كثيرا من السلف وعن أبي ليلى قال: خرج سلمان فإذا علف دابته يتساقط من الآري، فقال لخادمه: لولا أني أخاف القصاص لأوجعتك. أخرجه البخاري في الأدب المفرد (رقم/١٨٢) وهو صحيح

الأري: مربط الدواب أو معلفها.

وعن أبي هريرة أنه كانت له زنجية قد غمتهم بعملها فرفع عليها السوط فقال لولا القصاص لأغشيك به ولكني سأبيعك ممن يوفيني ثمنك، اذهبي فأنت لله» أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/٣٨٤) واللفظ له وابن أبي الدنيا في الأهوال (رقم/٢٦٣) بسند صحيح

قال ابن الأمير في التنوير (١٠/٣٠٠) «**من ضرب مملوكه**» أي ضرب «ظالمًا» في ضربه بأن يضربه لا للتأديب أو نحوه «أقيد منه» اقتص منه. «يوم القيامة» فإنه يوم الجزاء وليس على السيد شيء في الدنيا من قصاص ولا غيره وفيه أنه لا يحل للسيد في عبده إلا ما أباحه الله له.

الحديث الخامس: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت أبا القاسمﷺ يقول: «من قذف مملوكه، وهو بريء مما قال، جلد يوم القيامة، إلا أن يكون كما قال» أخرجه البخاري (رقم/٦٨٥٨) ومسلم (رقم/١٦٦٠) وأحمد (٢/٤٣١) وأبو داود (رقم/٥١٦٥) والترمذي (رقم/١٩٤٧).

قال المناوي في فيض القدير (٦/١٩٥-١٩٦) «من قذف مملوكه» أي رماه بالزنا وفي رواية عبده «وهو» أي والحال أنه: أي المملوك «بريء مما قال» سيده فيه لم يحد لقذفه في حكم الدنيا لأن شرط حد القذف الإحصان والقن غير محصن وعليه يستوي مملوكه ومملوك غيره لكنه يعزر لمملوك غيره و «جلد» السيد «يوم القيامة» أي ضرب يوم الجزاء الأكبر «حدا» لانقطاع الرق بزوال ملك السيد

المجازي وانفراد البارىء تعالى بالملك الحقيقي وحصول التكافئ ولا تفاضل يومئذ إلا بالتقوى.

الحديث السادس: عن أبي بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي، وقطيعة الرحم**» أخرجه ابن المبارك في الزهد (٧٢٤) والبخاري في الأدب المفرد (رقم/٤٥) وأبو داود (رقم/٤٩٠٢) والترمذي (رقم/٢٥١١) وابن ماجه (رقم/٤٢١١) وابن حبان (رقم/٤٥٥) والحاكم (٣٥٦/٢)، (١٦٢/٤-١٦٣) وهو حديث صحيح.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ «**وليس شيء أعجل عقابا من البغي وقطيعة الرحم**». أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٣٥/١٠).

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**بابان معجلان عقوبتهما في الدنيا البغي والعقوق**». أخرجه الحاكم (١٧٧/٤) وصححه الألباني في الصحيحة (١١٢٠).

وقال محمد بن كعب القرظي: (ثلاث خصال من كن فيه كن عليه: البغي والنكث والمكر)، وقرأ:

﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا﴾ [فاطر: ٤٣].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [يونس : ٢٣].

﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ [الفتح: ١٠].

أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم البغي (رقم/٣٤) وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٣٠٨/١٢) للسيوطي، وذكره ابن كثير في تفسيره (٣٢٣/٦).

أخي المسلم الكريم لا تأمن مكر الله بمن بغى على العباد فقد أخرج البخاري في الأدب المفرد (٥٨٨) وأبو نعيم في الحلية (٣٢٢/١) والبيهقي في شعب الإيمان (رقم/٦٢٦٦) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال لو أن جبلا بغى على جبل لدك الباغي. وهو أثر سنده جيد.

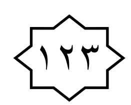
بل يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ﴾ [يونس : ٢٣].

قال ابن القيم في بدائع الفوائد (٧٦٦/٢) وهو يتكلم عن الأسباب التي يندفع بها شر الحاسد:

فما نصر على حاسده وعدوه بمثل الصبر عليه والتوكل على الله ولا يستطل تأخيره وبغيه فإنه كلما بغى عليه كان بغيه جندا وقوة للمبغي عليه المحسود يقاتل به الباغي نفسه وهو لا يشعر فبغيه سهام يرميها من نفسه ولو رأى المبغي عليه ذلك لسره بغيه عليه ولكن لضعف بصيرته لا يرى إلا صورة البغي دون آخره ومآله وقد قال تعالى: ﴿ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ﴾[الحج: ٦٠].

فإذا كان الله قد ضمن له النصر مع أنه قد استوفى حقه أولا فكيف بمن لم يستوف شيئا من حقه بل بغى عليه وهو صابر وما من الذنوب ذنب أسرع عقوبة من البغي وقطيعة الرحم وقد سبقت سنة الله أنه لو بغى جبل على جبل جعل الباغي منهما دكا».

قلت: ومن يحسن قراءة التاريخ يعرف أن عاقبة البغي وخيمة وأن البغي ليس حذقا كما يتوهمه أهله بل هو هلكة معجلة.



الحديث السابع: عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال : « **أمر بعبد من عباد الله أن يضرب في قبره مائة جلدة فلم يزل يسأل ويدعو حتى صارت جلدة واحدة فامتلأ قبره عليه نارا فلما ارتفع عنه وأفاق قال علام جلدتموني قال إنك صليت صلاة بغير طهور ومررت على مظلوم فلم تنصره** » أخرجه الطحاوي في " مشكل الآثار " .

وهو مخرج في السلسلة الصحيحة رقم (٢٧٧٤) وفي صحيح الترغيب والترهيب (٥٣٧/٢رقم٢٢٣٤) .

الحديث الثامن: عن هشام بن حكيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ إن الله تعالى يعذب يوم القيامة الذين يعذبون الناس في الدنيا. أخرجه مسلم (رقم/٢٦١٣) وأحمد (٤٠٤/٣) وأبو داود (رقم/٣٠٤٥) وأخرجه أيضا البيهقي في الشعب (رقم/٥٣٥٥) من حديث عياض بن غنم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وعن خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**أشد الناس عذابا يوم القيامة أشدهم عذابا للناس في الدنيا**». أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (١٤٣/٣) وأحمد (٩٠/٤) والحميدي (رقم/٥٦٢) والطبراني في الكبير (رقم/٣٨٢٤) وهو حسن بما قبله.

قلت: قال المناوي في فيض القدير (٥١٦/١) «أشد الناس» أي من أشدهم «عذابا للناس في الدنيا» أي بغير حق «**أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة**» فكما تدين تدان. **وفي الإنجيل**: بالكيل الذي تكتال به يكال لك. وقضيته أن لا يكون في النار أحد يزيد عذابه عليه».

قلت: يدخل في هذا التعذيب كل من عذب الناس بغير الحق كان حاكما أو محكوما شرطيا أو غير شرطي إلا أن تعذيب الشرط والسجانين كثيرا ما يكون فيه ظلم عظيم فالعذاب عليهم في الآخرة وبيل عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**». أخرجه مسلم (رقم/٢١٢٨).

قال القاضي عياض في إكمال المعلم (٦٥٩/٦) قوله: " صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ": يحتمل أن وجوب النار لهم من أجل ظلمهم وتعذيبهم واستطالتهم على الناس بالضرب بهذه السياط وغيرها، ويحتمل أن ذلك لمعاصٍ أخرى أوجبت النار لهم من كفرهم وغير ذلك، وأنَّ ذكر سياطهم وضربهم قصد الوصف لا قصد علة التعذيب بالنار.

وقال القرطبي في المفهم (٤٤٩/٥): قوله صنفان من أهل النار لم أرهما أي لم يوجد في عصره منهما أحد لطهارة أهل ذلك العصر الكريم ويتضمن ذلك أن ذينك الصنفين سيوجدان وكذلك كان فإنه خلف بعد تلك الأعصار قوم يلازمون السياط المؤلمة التي لا يجوز أن يضرب بها في الحدود قصدا لتعذيب الناس فإن أمروا بإقامة حد أو تعزير تعدوا المشروع في ذلك في الصفة والمقدار وربما أفضى بهم الهوى وما جبلوا عليه من الظلم إلى هلاك المضروب أو تعظيم عذابه وهذا أحوال الشرط بالمغرب والعوانية في هذه البلاد.

تنبيه: إذا كان العذاب في الآخرة على من عذب الحيوان البهيم فما بالك بمن عذب أولياء الله الصالحين عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض**». أخرجه البخاري (رقم/٣٣١٨) ومسلم (رقم/٢٢٤٢) وأخرجه مسلم (رقم/٢٢٤٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وأخرجه البخاري (رقم/٢٣٦٤) من حديث أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وأخرجه مسلم (رقم/٩٠٤) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وأخرجه أحمد (١٥٩/٢) وأبو داود (رقم/١١٩٤) والنسائي (رقم/١٤٨٢) وابن حبان (رقم/٥٦٢٢) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. ومن عذب الأبرياء بغير حق ربما عجل الله له العذاب الأليم في الدنيا.

قال الذهبي في السير (١٧٣/١١) في ترجمة محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم كان يقول: «ما رحمت أحدا قط الرحمة خور في الطبع. فسجن في قفص حرج جهاته بمسامير كالمسال وكان يصيح: ارحموني فيقولون: الرحمة خور في الطبيعة». وها هو نظيره في الإلحاد بل أشد منه حمزة البسيوني قائد السجن الحربي في مصر من سنة ١٩٥٤-١٩٦٥ قال عنه العفاني في كتابه الجزاء من جنس العمل (٤١٥/١): قال مرة للإسلاميين أثناء تعذيبهم: هاتوا لي ربكم وأنا أضعه في الحديد.. أحطه في زنزانة فماذا كان جزاؤه؟ أماته الله شر ميتة.. حيث صدم بسيارته شاحنة كبيرة من الخلف محملة بأسياخ الحديد فدخلت الأسياخ في جسمه وأخذ يصيح ولا منقذ واجتمع الناس من حوله في طريق الاسكندرية – القاهرة.

أخرج الخرائطي في مكارم الأخلاق (رقم/٤٧٢) بسند حسن عن الفضيل بن عياض قال: والله ما يحل لك أن تؤذي كلبا ولا خنزيرا بغير حق فكيف تؤذي مسلما.

الحديث التاسع: عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**يجيء الرجل آخذا بيد الرجل فيقول: يا رب، هذا قتلني، فيقول الله له: لم قتلته؟ فيقول: قتلته لتكون العزة لك، فيقول: فإنها لي. ويجيء الرجل آخذا بيد الرجل فيقول: إن هذا قتلني، فيقول الله له: لم قتلته؟ فيقول: لتكون العزة لفلان، فيقول: إنها ليست لفلان فيبوء بإثمه**» أخرجه النسائي (رقم/٣٩٩٧) والطبراني في الكبير (٩٦/١٠) وأبو نعيم في الحلية (١٤٧/٤) والبيهقي في الكبرى (١٩١/٨) وفي الشعب (رقم/٤٩٤٣) وهو صحيح.

وعن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حدثني فلان أن رسول الله ﷺ قال: «يجيء المقتول بقاتله يوم القيامة فيقول: يا رب، سل هذا فيم قتلني فيقول: علام قتلته؟ فيقول: قتلته على ملك فلان»، قال: فقال جندب: فاتقها. أخرجه أحمد (٦٣/٤) والنسائي (رقم/٣٩٩٨) وسنده صحيح

وعن أبي الدرداء، يقول: " يجلس المقتول يوم القيامة، فإذا مر الذي قتله قام فأخذه، فينطلق فيقول: يا رب سله لم قتلني؟ فيقول: فيم قتلته؟ فيقول: أمرني فلان، فيعذب القاتل والآمر. أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٤٣٤/٥) والبيهقي في الشعب (رقم/٤٩٤٤) وهو حسن

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : سمعت نبيكم ﷺ يقول: «**يأتي المقتول متعلقا رأسه بإحدى يديه متلببا قاتله بيده الأخرى يشخب أوداجه دما حتى يأتي به العرش فيقول المقتول لله: رب هذا قتلني فيقول الله عز وجل للقاتل:**

تعست ويذهب به إلى النار » رواه الطبراني في الكبير والأوسط وهو مخرج في "سلسلة الأحاديث الصحيحة" للألباني رقم (٢٦٩٧).

وعن أبي زرعة بن عمرو بن جرير، عن أبي هريرة قال: «**إن من الناس من يقتل يوم القيامة ألف قتلة**» ، فقال له عاصم بن أبي النجود: يا أبا زرعة، ألف قتلة؟ قال: «نعم، بضروب ما قتل» رواه ابن نعيم بن حماد في الزهد وابن أبي شيبة في المصنف (رقم/٣٧٤٣٨)

وعن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنها ستكون فتن: ألا ثم تكون فتنة القاعد فيها خير من الماشي فيها، والماشي فيها خير من الساعي إليها. ألا، فإذا نزلت أو وقعت، فمن كان له إبل فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه** » قال فقال رجل: يا رسول الله أرأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال: «**يعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر، ثم لينج إن استطاع النجاء، اللَّهُمَّ هل بلغت؟ اللَّهُمَّ هل بلغت؟ اللَّهُمَّ هل بلغت؟**» قال: فقال رجل: يا رسول الله أرأيت إن أكرهت حتى ينطلق بي إلى أحد الصفين، أو إحدى الفئتين، فضربني رجل بسيفه، أو يجيء سهم فيقتلني؟ قال: «**يبوء بإثمه وإثمك، ويكون من أصحاب النار**» أخرجه مسلم (رقم/٢٨٨٧) وأحمد (٤٨/٥) والطحاوي في شرح مشكل الآثار (رقم/٥٥٤٨) والبيهقي في الكبرى (١٩٠/٨).

قلت: هذه الأحاديث فيها أمور عظيمة يلاقيها القتلة يوم القيامة ومنها:

١ – إثبات حشر العباد على ما ماتوا عليه إن خيرا فخير وإن شرا فشر

٢ – ظهور كمال عدل الله للعباد في يوم القيامة حيث يجمع الله بين الظالم والمظلوم والمحق والمبطل ليحكم بينهم

٣ – مفاجأة القتلة ظلما وعدوانا بالمتقولين يأخذونهم إلى الله ويقولون: يا رب سل هؤلاء فيما قتلونا. والحالة التي قتلوا عليها مشهودة دماء تنزف وأصوات عالية وصياح شديد واستغاثة اتقوا الله فينا ارحمونا ولكن لا رحمة ولا خوف من الله بل جرأة رهيبة بالضرب والطعن والسب واللعن والتكفير وغير ذلك فيا ترى كيف سيكون حال القتلة في هذا المشهد العصيب.

٤ – افتضاح القتلة المسلمين أنهم قتلوا من قتلوا من المسلمين لأجل فلان وفلان ينطقهم الله بذلك فأين المفر.

٥ – انقطاع الحجج عن القتلة التي كانوا يحتجون بها في الدنيا فمن ذا الذي يجادل عن هؤلاء القتلة.

٦ – أن الله يحكم على القتلة بأخذ حسناتهم للمظلومين بقدر مظالمهم فإن فنيت حسنات القتلة قبل يقضى ما عليهم أخذ من سيئات المظلومين ووضعت عليهم ثم يؤمر بهم إلى النار كما دلت على هذا الأحاديث المتقدمة فإنا لله وإنا إليه راجعون ما أسوأ حال القتلة يوم القيامة اللّٰهُمَّ جنبنا القتل والقتال وأعمال الضلال وسوء المآل.

الحديث العاشر: عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله عَزَّوَجَلَّ: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره**» أخرجه البخاري (رقم/٢٢٢٧).

قال الحافظ في الفتح (٤١٨/٤) قال ابن التين: هو سبحانه وتعالى خصم لجميع الظالمين إلا أنه أراد التشديد على هؤلاء بالتصريح.

قال ابن بطال في شرح صحيح البخاري (٦/٣٤٩-٣٥٠) قال المهلب: قوله: «أعطى بي ثم غدر» يريد نقض عهدًا عاهده عليه، وقوله: «استأجر أجيرا فلم يعطه أجره» ، هو داخل في معنى من باع حرًا؛ لأنه استخدمه بغير عوض، وهذا عين الظلم، وإنما عظم الإثم فيمن باع حرا؛ لأن المسلمين أكفاء في الحرمة والذمة، وللمسلم على المسلم أن ينصره ولا يظلمه، وأن ينصحه ولا يسلمه، وليس في الظلم أعظم من أن يستعبده أو يعرضه لذلك، ومن باع حرا فقد منعه التصرف فيما أباح الله له، وألزمه حال الذلة والصغار، فهو ذنب عظيم، ينازع الله به في عبادة».

قلت: العلماء قد بينوا عقوبة في الدنيا على من باع حرا، قال ابن المنذر: وكل من لقيت من أهل العلم على أنه من باع حرا أنه لا قطع عليه ويعاقب

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (٢٩/١٤٥-١٤٦) وكل من شرط شرطا ثم نقضه فقد غدر. فقد جاء الكتاب والسنة بالأمر بالوفاء بالعهود والشروط والمواثيق والعقود وبأداء الأمانة ورعاية ذلك والنهي عن الغدر ونقض العهود والخيانة والتشديد على من يفعل ذلك.

الحديث الحادي عشر: عن جندب بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ قال رجل والله لا يغفر الله لفلان وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك. أخرجه مسلم (رقم/٢٦٢١) وقد جاء من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أبي داود (رقم/٤٩٠١) وأحمد (٢/٢٢٣) وغيرهما.

وعن بكير بن الأشج، أنه سمع بسر بن سعيد يقول: «من قال لأخيه: لا يغفر الله لك، قيل له: بل لك لا يغفر»، قال بكير: ولم أفقه إلى من رفع

الحديث، فسألت يعقوب بن عبد الله بن الأشج، فقال: إلى أبي هريرة. أخرجه ابن المبارك في الزهد (رقم/٩٠١) وهو صحيح.

قال ابن عثيمين في القول المفيد على كتاب التوحيد (٥٠١/٢) ووجه إحباط الله عمله على سبيل العموم -حسب فهمنا والعلم عند الله-: أن هذا الرجل كان يتعبد لله وفي نفسه إعجاب بعمله، وإدلال بما عمل على الله كأنه يمن على الله بعمله، وحينئذ يفتقد ركنا عظيما من أركان العبادة؛ لأن العبادة مبنية على الذل والخضوع؛ فلا بد أن تكون عبدا لله عز وجل بما تعبدك به وبما بلغك من كلامه.

قلت: كلمة هذا الرجل أوبقته حتى أحبط الله عبادته وهذه الكلمة من الكلمات التي قال فيها الرسولﷺ: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب**» أخرجه البخاري (رقم/٦٤٧٧) ومسلم (رقم/٢٩٨٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فالحذر الحذر من التكلم بما يغضب الله!

الحديث الثاني عشر: عن أبي برزة الأسلمي، قال: قال رسول اللهﷺ: «**يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته**» أخرجه أبو داود (رقم/٤٨٨٠) وهو صحيح قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الاحتساب (١٨٦) هذا الحديث أصل في تحريم التجسس واتباع عورات المسلمين.

وعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته**». أخرجه ابن ماجه (رقم/٢٥٤٦) وهو صحيح.

والحديث أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت (١٦٧) وأبو نعيم في الدلائل (رقم/٣٥٦) والبيهقي في الدلائل (٢٥٦/٦) وفي الشعب عن البراء وأخرجه الطبراني في الكبير (رقم/١١٥٥) عن بريدة وعن ابن عمر عند الترمذي (رقم/٢٠٣٢) والبغوي في شرح السنة (١٠٤/١٣).

قلت: والحديث فيه تهديد شديد ووعيد مديد على من طلب عثرات المسلمين وبحث عن أخطائهم ليشيعها بين الناس وكيف لا وقد قال الله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النور : ١٩]. والعذاب الذي لا يطيقه المتبعون لعورات المسلمين هو عذاب الآخرة ولا شك أن عذاب الله على من يتجسس على المسلمين للأعداء أشد وأشد فيا ويل الجواسيس في الدنيا والآخرة.

تنبيه: عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة. أخرجه الترمذي (رقم/٣٥٤٠) وهو صحيح

وهذا الحديث فيما بين العباد وربهم وأما ما بين العباد في حق بعضهم فالله يحكم بينهم بحكمه ويعطي لكل مظلوم مظلمته.

الحديث الثالث عشر: عن عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار. أخرجه البخاري في الأدب المفرد (رقم/٩٨٨) وأبو داود (رقم/٤٨٧٣) واللفظ له

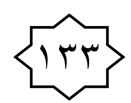
وحسن إسناده العراقي وصححه الألباني بمجموع طرقه في الصحيحة (رقم/٨٩٢).

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: من كان له لسانان في الدنيا جعل الله له لسانين من نار. أخرجه أبو يعلى (رقم/٦٦٩٩) وابن أبي الدنيا في ذم الغيبة (١٤٤) وأخرجه الطبراني في الكبير (١٧٠/٢) عن جندب بن عبد الله وصححه الألباني في صحيح الترغيب (رقم/٢٩٥٠).

وقد جاء من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ تجد من شر الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه. أخرجه البخاري (رقم/٦٠٥٨) ومسلم (رقم/٢٥٢٦).

قال ملا علي القاري في مرقاة المفاتيح (٣٠٤٤/٧): قيل: المراد به من يري نفسه عند شخص أنه من جملة محبيه وناصحيه، وهو يحدث في غيبته بمساوئه. وقيل: المعنى من كان مع كل واحد من عدوين كأنه صديقه، ويظن أنه ناصر له ويذم هذا عند ذلك وذلك عند هذا.

قال المناوي في فيض القدير (٢٠٩/٦) «من كان له وجهان في الدنيا» يعني من كان مع كل واحد من عدوين كأنه صديقه ويعده أنه ناصر له ويذم ذا عند ذا أو ذا عند ذا يأتي قوما بوجه وقوما بوجه على وجه الإفساد «كان له يوم القيامة



لسانان من نار» كما كان في الدنيا له لسان عند كل طائفة قال الغزالي: اتفقوا على أن ملاقاة الاثنين بوجهين نفاق وللنفاق علامات هذه منها نعم إن جامل كل واحد منهما وكان صادقا لم يكن ذا لسانين فإن نقل كلام كل منهما للآخر فهو نمام دون لسان وذلك شر من النميمة

وقال ابن الأمير في التنوير (٩/٥-١٠) «وتجدون شر الناس يوم القيامة عند الله» أوضعهم منزلة وأبعدهم من كرامته. «ذا الوجهين» بينه بقوله: «الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه» جعل تلونه في الصفة كتلونه في الذات قال العراقي: إنما كان شر الناس لأن حاله حال المنافقين إذ هو يتخلق بالباطل وبالكذب مدخلاً للفساد بين الناس وقال النووي: هو الذي يأتي كل طائفة بما يرضيها فيظهر لها أنه منها ويخالف لضدها، وصنيعه نفاق محض وخداع وتصنع وتحيل على الاطلاع على أسرار الفريقين وهي مداهنة مخزية.

قلت: هذا الصنف يعرف بالمنافق الخطير وهو الذي يدخل في الناس للإفساد بطرق ترضي في ظاهرها كل طرف وقد قال فيه الإمام البيحاني في رباعياته (ص/٥٨):

يدور مع الزجاجة حيث دارت ويلبس للسياسة ألف لبس

فعند المسلمين يعد منهم ويطلب سهمه من كل خمس

وعند الملحدين يعد منهم وعن ماركس يحفظ كل درس

ومثل الانجليز إذا رآهم وفي باريس محسوب فرنسي

وقال شيخنا الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تحفة المجيب (ص/٣٣١) في بعض دعاة البدع والتحزب: يلقى الصوفي بالوجه الصوفي ومع الشيعي بالوجه الشيعي ومع السني بالوجه السني والنبيﷺ يقول: تجدون شر الناس ذا الوجهين...

فائدة: الفرق بين المداراة وبين المداهنة.

قال القرطبي في المفهم تبعا للقاضي عياض (٥٧٣/٦): «والفرق بين المدارة والمداهنة، أن المداراة: بذل الدنيا لصلاح الدنيا أو الدين وهي مباحة ومستحسنة في بعض الأحوال، والمداهنة المذمومة المحرمة: هي بذل الدين لصالح الدنيا»

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في"الروح"(٦٥٢/٢):

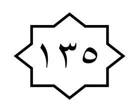
«المداراة صفة مدح والمداهنة صفة ذم، والفرق بينهما: أن المداري يتلطف بصاحبه حتى يستخرج منه الحق أو يرده عن الباطل، والمداهن يتلطف به ليقره على باطله ويتركه على هواه، فالمداراة لأهل الإيمان والمداهنة لأهل النفاق».

الحديث الرابع عشر: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ قال الله للرحم «**ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك**». أخرجه البخاري (رقم/٤٨٣٠) ومسلم (رقم/٢٥٥٤).

وعن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ «**قال الله أنا الرحمن خلقت الرحم واشتققت لها من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته**». أخرجه البخاري في الأدب المفرد (رقم/٣٨).

وقد جاء من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند البخاري في الأدب المفرد (رقم/٣٩) ومن حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند البخاري في الأدب المفرد (رقم/٤٠).

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت قال رسول الله ﷺ «**الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله**». أخرجه مسلم (رقم/٢٥٥٥).



قلت: قوله «قطعه الله» تضمنت أمورا

الأولى: قوله قطعه الله كلمة مخيفة مرعبة لما تحمله من شديد الوعيد وعظيم التهديد فما سمعها سامع إلا وأشفق على نفسه منها.

الثانية: الجزاء من جنس العمل فمن قطع رحمه قطعه الله والقطع من الله إن كان أهملها أهمله الله وإن منعها من حق لها منعه الله من فضله وإن مكر بها مكر الله به وهو خير الماكرين وهلم جرا فلا أضر على المسلم من هذا القطع أسأل الله أن يعافينا جميعا من هذا القطع.

الثالثة: قطع الله لقاطع رحمه قد يكون في الدنيا و قد يكون في الآخرة وقد يعاقب فلا يدخل الجنة فيا ويل لمن قطع رحمه

الرابعة: ارتكاب الكبيرة في حق الأرحام أغلظ منها في حق غيرهم فإذا كان من سرق من عشرة أبيات أهون من السرقة من بيت الجار فما بالك لو أخذ مال رحمه بالسرقة أو الخيانة أو الظلم والاغتصاب أو غير ذلك فذنبه أعظم مما لو أخذ مال جاره.

الخامسة: قوله قطعه الله تفيد بتعجيل العقوبة كما دلت على هذا أحاديث أخرى تعجيل العقوبة فلربما ما أمسى قاطع الرحم إلا وقد قطعه الله أو لا يصبح إلا وقد قطعه الله فمن يأمن على نفسه من بطش الله، اللَّهُمَّ سلم سلم.

الحديث الخامس عشر: عن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ «**من يحرم الرفق يحرم الخير**». أخرجه مسلم (رقم/٢٥٩٢).

وعن أبي الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول اللهﷺ «**ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير**». أخرجه أحمد (٤٥١/٦) والترمذي (رقم/٢٠٠٢) وهو صحيح.

قلت: تقدم تخريج الحديث والكلام على فضل الرفق وأن الرفيق اسم من أسماء الله في الفصل الأول والمقصود هنا النظر إلى الحرمان المذكور

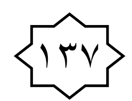
قال أبو عبد الله بن الربيع الصوفي:. دخلت على سفيان فقال: لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا من كان فيه خصال ثلاث رفق بما يأمر رفق بما ينهى عدل بما يأمر عدل بما ينهى عالم بما يأمر عالم بما ينهى. أخرجه الخلال في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٢٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (١٣٧/٢٨) بعد أن تكلم عن العلم والرفق والصبر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

«فلابد من هذه الثلاثة: العلم والرفق والصبر العلم قبل الأمر والنهي والرفق معه والصبر بعده وإن كان كل من الثلاثة لابد أن يكون مستصحبا في هذه الأحوال».

الحديث السادس عشر: عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت قال رسول اللهﷺ اللَّهُمَّ من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه. أخرجه مسلم (رقم/١٨٢٨)

قال النووي في شرح مسلم (٢١٣/١٢) هذا من أبلغ الزواجر عن المشقة على الناس وأعظم الحث على الرفق بهم وقد تظاهرت الأحاديث بهذا المعنى»



قلت: أول من يدخل في هذا الحديث ملوك المسلمين ورؤساء الدول والشعوب وكل من له ولاية ولم يقم فيها بالعدل قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (٦٦/٢٨): وجميع الولايات الإسلامية إنما مقصودها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سواء في ذلك ولاية الحرب الكبرى: مثل نيابة السلطنة والصغرى مثل ولاية الشرطة: وولاية الحكم؛ أو ولاية المال وهي ولاية الدواوين المالية؛ وولاية الحسبة.

الحديث السابع عشر: عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «**قال رسول الله ﷺ وسخط الله في سخط الوالدين**». تقدم تخريجه وشواهده

قال الصنعاني في سبل السلام (٦٣٢/٢) الحديث دليل على وجوب إرضاء الولد لوالديه وتحريم إسخاطهما فإن الأول فيه مرضاة الله والثاني فيه سخطه فيقدم رضاهما على فعل ما يجب عليه من فروض الكفاية.

وقال السعدي في بهجة قلوب الأبرار (٢١٦) هذا الحديث دليل على فضل برّ الوالدين ووجوبه، وأنه سبب لرضى الله تعالى. وعلى التحذير عن عقوق الوالدين وتحريمه، وأنه سبب لسخط الله.

ولا شك أن هذا من رحمة الله بالوالدين والأولاد؛ إذ بين الوالدين وأولادهم من الاتصال ما لا يشبهه شيء من الصلات والارتباط الوثيق، والإحسان من الوالدين الذي لا يساويه إحسان أحد من الخلق، والتربية المتنوعة وحاجة الأولاد، الدينية والدنيوية إلى القيام بهذا الحق المتأكد؛ وفاء بالحق، واكتساباً للثواب، وتعليماً لذريتهم أن يعاملوهم بما عاملوا به والديهم.

قلت: دل الحديث المذكور على اتصاف الله بالسخط وعلى عظم حق الوالدين عند الله ودل على غيرة الله على حقوق الوالدين وأن العاق لهما أو لأحدهما بفعل أو قول وغير ذلك مُعَرِّض لسخط الله الذي لا ترده سماء ولا أرض وما أكثر نقمات الله على المضيعين للإحسان إلى الوالدين فحذار حذار من التعرض لسخط الله بسبب سوء التعامل مع الوالدين أو أحدهما فلا نجاة من سخط الله إلا ببذل ما ملكت يداك لهما والقيام بخدمتهما وكن كما قال الله: فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذ من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا.

الحديث الثامن عشر: عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت قال رسول الله ﷺ «**من أرضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس**». أخرجه عبد بن حميد في المنتخب وابن حبان (رقم/٢٧٧) والقضاعي (٥٠١) وابن عساكر (٢٠/٥٤) وقد أخرجه الترمذي (رقم/٢٤١٤) مرفوعا وموقوفًا على عائشة. وقال الألباني إن الحديث قد صح عن عائشة مرفوعا وموقوفا.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ «**من أسخط الله في رضى الناس سخط الله عليه وأسخط عليه من أرضاه في سخطه**». أخرجه الطبراني في الكبير (١٣٢/٣) قال المنذري في الترغيب (١٥٤/٣) رواه الطبراني بإسناد جيد قوي.

وأخرج هناد في الزهد (٥٣٥) وابن أبي الدنيا في اليقين (٣٢) مختصرا بسند عن ابن مسعود قال من اليقين أن لا ترضي الناس بسخط الله. ولا تحمد أحدا على رزق الله ولا تلوم أحدا على ما لم يؤتك الله فإن رزق الله لا يسوقه حرص

حريص ولا يرده كراهية كاره وإن الله تبارك وتعالى بقسطه وعلمه وحلمه جعل الروح والفرح في اليقين والرضا وجعل الهم والحزن في الشك والسخط.

قال شيخ الإسلام ابن القيم في مدارج السالكين (٢/٣٠٠): فإنه ما آثر عبد مرضاة الله عز وجل على مرضاة الخلق، وتحمل ثقل ذلك ومؤنته، وصبر على محنته: إلا أنشأ الله من تلك المحنة والمؤنة نعمة ومسرة، ومعونة بقدر ما تحمل من مرضاته. فانقلبت مخاوفه أمانا، ومظان عطبه نجاة، وتعبه راحة، ومؤنته معونة، وبليته نعمة، ومحنته منحة، وسخطه رضا. فيا خيبة المتخلفين، ويا ذلة المتهيبين. هذا، وقد جرت سنة الله - التي لا تبديل لها - أن من آثر مرضاة الخلق على مرضاته: أن يسخط عليه من آثر رضاه، ويخذله من جهته. ويجعل محنته على يديه. فيعود حامده ذاما. ومن آثر مرضاته ساخطا. فلا على مقصوده منهم حصل، ولا إلى ثواب مرضاة ربه وصل. وهذا أعجز الخلق وأحمقهم.

هذا مع أن رضا الخلق: لا مقدور، ولا مأمور، ولا مأثور. فهو مستحيل. بل لا بد من سخطهم عليك. فلأن يسخطوا عليك وتفوز برضا الله عنك أحب إليك وأنفع لك من أن يسخطوا عليك والله عنك غير راض.

قلت: وهل هلك كثير من الناس إلا بسبب عدم العمل بهذا الحديث فاجعله نصب عينيك لعلك تسعد به سعادة سرمدية.

الحديث التاسع عشر: عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في الأنصار ومن أبغضهم أبغضه الله تقدم تخريجه وشواهده

قال القسطلاني في إرشاد الساري (٦/١٥٠) وإنما خصوا بذلك لما فازوا به دون غيرهم من القبائل من إيوائه -ﷺ- ومواساته بأنفسهم وأموالهم، فكان

صنيعهم لذلك موجبًا لمعاداتهم جميع الفرق الموجودين إذ ذاك من عرب وعجم والعداوة تجر البغض، ثم إن ما اختصوا به موجب للحسد والحسد يجر إلى البغض أيضًا، فمن ثم حذر -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من بغضهم ورغب في حبهم حتى جعله من الإيمان والنفاق تنويهًا بفضلهم، وهذا جار باطراد في أعيان الصحابة لتحقق الاشتراك في الإكرام لما لهم من حسن الغناء في الدين، وإن من بعضهم لبعض بغض بسبب الحروب الواقعة بينهم فذاك من غير هذه الجهة لما طرأ من المخالفة ومن ثم لم يحكم بعضهم على بعض بالنفاق وإنما حالهم في ذلك حال المجتهدين في الأحكام للمصيب أجران وللمخطئ أجر واحد»

قلت: وإلى جانب ما سبق الحديث فيه ما قاله العلامة ابن القيم في الصواعق المرسلة (١٤٥١/٤) إن ما وصف الله سبحانه به نفسه من المحبة والرضى والفرح والغضب والبغض والسخط من أعظم صفات الكمال.

قلت: اتصاف الله بالغضب والسخط والبغض هذه صفات معلومة من الإسلام ومن إجماع السلف ومن تبعهم بإحسان

الحديث العشرون: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ «**من أخذ أموال الناس يريد إتلافها أتلفه الله**». أخرجه البخاري (رقم/٢٣٨٧).

قال ابن بطال في شرح صحيح البخاري (٥١٣/٦) هذا الحديث شريف ومعناه: الحض على ترك استئكال أموال الناس والتنزه عنها، وحسن التأدية إليهم عند المداينة... وفى حديث أبى هريرة أن الثواب قد يكون من جنس الحسنة، وأن العقوبة قد تكون من جنس الذنوب، لأنه جعل مكان أداء الإنسان أداء الله عنه، ومكان إتلافه إتلاف الله له».

وقال الحافظ في الفتح (٥٤/٥): «قوله أتلفه الله ظاهره أن الإتلاف يقع له في الدنيا وذلك في معاشه أو في نفسه وهو علم من أعلام النبوة لما نراه بالمشاهدة ممن يتعاطى شيئا من الأمرين وقيل المراد بالاتلاف عذاب الآخرة».

قلت: وقريبا من هذا الحديث ما أخرجه ابن ماجه (رقم/٢٤١٠) عن صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «**أيما رجل تدين دينا وهو مجمع أن لا يوفيه إياه لقي الله سارقا**». والحديث قال عنه العلامة الألباني: حسن صحيح.

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدين دينان فمن مات وهو ينوي قضاءه فأنا وليه ومن مات ولا ينوي قضاءه فذاك الذي يؤخذ من حسناته ليس يومئذ دينار ولا درهم**». أخرجه الطبراني في الكبير (٣٣٦/١٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم/٣٤١٨).

الحديث الحادي والعشرون: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول اللَّهُمَّ اعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللَّهُمَّ اعط ممسكا تلفا. أخرجه البخاري (رقم/١٤٤٢) ومسلم (رقم/١٠١٠) وقد تقدم هذا الحديث ووعدنا بشرحه هاهنا فأقول:

هذا الدعاء يستفاد منه أمور:

الأولى: إمساك المال عن إعطاء الحقوق من الكبائر ولو لم يكن من الكبائر ما كان هذا الدعاء على الممسك فليعلم هذا الممسكون

الثانية: المعاملة المذكورة للممسك بنقيض قصده فإنه أمسك المال ليكثر فعوقب بما يذهبه ويتلفه واعتبر بهذا في كل مال حرام إن الله ينزع منه البركة ويتلفه إما جملة وإما شيئا فشيئا.

الثالثة: أفاد الحديث جواز الدعاء على الممسكين أموالهم بخلا ومنعا للحقوق وهذا الدعاء من باب العموم فلا يشرع أن يقول اللَّهُمَّ أتلف مال الممسك فلان بعينه.

الرابعة: يفهم من الحديث أن الله يستجيب دعاء الملائكة هؤلاء فلا يأمن الممسك أن يعاقبه الله استجابة لدعائهم

الخامسة: أفاد الحديث أن الدعاء على الممسكين بعموم التلف قد يكون غرقا أو حرقا أو سلبا أو غرامات أو غير ذلك فلا يدري الممسك أي مصيبة ستنزل عليه اللَّهُمَّ سلم سلم.

فائدة: قال الحسن البصري: إن المؤمن آخذ عن الله عَزَّوَجَلَّ أدبا حسنا فإذا أوسع عليه أوسع وإذا أمسك عليه أمسك. أخرجه أبو نعيم في الحلية (٩/٣).

الحديث الثاني والعشرون: عن أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قالت قال رسول الله ﷺ: «**لا توعي فيوعي الله عليك ارضخي ما استطعت**». أخرجه البخاري (رقم/١٤٣٤) وقد جاء بلفظ: لا توكي فيوكي عليك. أخرجه البخاري (رقم/١٤٣٣) والترمذي (رقم/١٩٦٠).

وعن أسماء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ «**لا تحصي فيحصي الله عليك**». أخرجه البخاري (رقم/١٤٣٣) ومسلم (رقم/١٠٢٩).

وقال الخطابي في معالم السنن (٨٤/٢) ولا توكي أي لا تدخري والإيكاء شد رأس الوعاء بالوكاء وهو الرباط الذي يربط به يقول لا تمنعي ما في يدك فتنقطع مادة بركة الرزق عنك.

وفيه وجه آخر وهو أن صاحب البيت إذا أدخل الشيء بيته كان ذلك في العرف مفوضا إلى ربة المنزل فهي تنفق منه بقدر الحاجة في الوقت وربما تدخر منه الشيء لغابر الزمان فكأنه قال إذا كان الشىء مفوضا إليك موكولا إلى تدبيرك فاقتصري على قدر الحاجة في النفقة وتصدقي بالباقي ولا تدخري والله أعلم.

وقال المناوي في فيض القدير (٥٦٣/١) «فالمعنى لا تمسكي المال في الوعاء وتوكي عليه فيمسك الله فضله عنك كما أمسكت فضل ما أعطاك الله فإن الجزاء من جنس العمل ومن علم أن الله يرزقه من حيث لا يحتسب فحقه أن يعطي ولا يحسب وفيه النهي عن منع الصدقة خشية النفاد وأنه أعظم الأسباب لقطع مادة البركة وأنه تعالى يثيب على العطاء بغير حساب».

الحديث الثالث والعشرون: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ «**إن الله قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب**». أخرجه البخاري. تقدم هذا الحديث والكلام عليه في أول هذا الفصل والمعادون لأولياء الله كثيرا ما ينكل الله بهم في الدنيا قبل الآخرة ويدل على هذا التنكيل الآثار الكثيرة أسرد منها جملة مباركة ترى القارئ عجائب بأسه وشدة بطشه وأليم عقابه عافانا الله من ذلك عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: بينما عثمان بن عفان يخطب إذ قام إليه جهجاه الغفاري فأخذ العصا من يده فكسرها على ركبته فدخلت منها شظية في ركبته فوقعت فيها الآكلة. أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٣٠/٣٩) بإسناد حسن

وعن سليمان بن يسار أن جهجاه الغفاري أخذ عصى عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ التي كان يتخصر بها فكسرها على ركبته فوقعت في ركبته الآكلة. أخرجه الآجري في الشريعة (١٩٩٧/٤) والبلاذري في أنساب الأشراف (٥٣٧/٥) وهو حسن.

وعن جابر بن سمرة، قال: شكا أهل الكوفة سعدا إلى عمر رضي الله عنه، فعزله، واستعمل عليهم عمارا، فشكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلي، فأرسل إليه، فقال: يا أبا إسحاق إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي، قال أبو إسحاق: أما أنا والله «فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ ما أخرم عنها، أصلي صلاة العشاء، فأركد في الأوليين وأخف في الأخريين»، قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق، فأرسل معه رجلا أو رجالا إلى الكوفة، فسأل عنه أهل الكوفة ولم يدع مسجدا إلا سأل عنه، ويثنون معروفا، حتى دخل مسجدا لبني عبس، فقام رجل منهم يقال له أسامة بن قتادة يكنى أبا سعدة قال: أما إذ نشدتنا فإن سعدا كان لا يسير بالسرية، ولا يقسم بالسوية، ولا يعدل في القضية، قال سعد: أما والله لأدعون بثلاث: اللَّهُمَّ إن كان عبدك هذا كاذبا، قام رياء وسمعة، فأطل عمره، وأطل فقره، وعرضه بالفتن، وكان بعد إذا سئل يقول: شيخ كبير مفتون، أصابتني دعوة سعد، قال عبد الملك: فأنا رأيته بعد، قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وإنه ليتعرض للجواري في الطرق يغمزهن. أخرجه البخاري (رقم/٧٥٥).

عن مصعب بن سعد أن سعدا خطبهم بالكوفة ثم قال يا أهل الكوفة أي أمير كنت لكم فقام رجل فقال اللَّهُمَّ إن كنت ما علمتك لا تعدل في الرعية ولا تقسم بالسوية ولا تغزو بالسرية قال فقال سعد اللَّهُمَّ إن كان كاذبا فاعم صره

وعجل فقره وأطل عمره وعرضه للعين قال فما مات حتى عمي فكان يلتمس الحوادث وافتقر حتى سأل الناس وأدرك فتنة المختار الكذاب فقتل فيها فكان إذا قيل له كيف أنت قال أعمى فقير أدركتني دعوة سعد. أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٤٣/٢٠) بإسناد حسن

عن مصعب بن سعد، عن سعد، «**أن رجلا نال من علي رضي الله عنه، فدعا عليه سعد بن مالك فجاءته ناقة أو جمل فقتله، فأعتق سعد نسمة، وحلف أن لا يدعو على أحد**» أخرجه الحاكم (٥٧١/٣) بإسناد حسن.

وعن قيس بن أبي حازم، قال: كنت بالمدينة فبينا أنا أطوف في السوق إذ بلغت أحجار الزيت، فرأيت قوما مجتمعين على فارس قد ركب دابة، وهو يشتم علي بن أبي طالب، والناس وقوف حواليه إذ أقبل سعد بن أبي وقاص فوقف عليهم، فقال: «ما هذا؟» فقالوا: رجل يشتم علي بن أبي طالب، فتقدم سعد فأفرجوا له حتى وقف عليه فقال: «يا هذا، علام تشتم علي بن أبي طالب؟ ألم يكن أول من أسلم؟ ألم يكن أول من صلى مع رسول الله ﷺ؟ ألم يكن أزهد الناس؟ ألم يكن أعلم الناس؟» وذكر حتى قال: «ألم يكن ختن رسول الله ﷺ على ابنته؟ ألم يكن صاحب راية رسول الله ﷺ في غزواته؟» ثم استقبل القبلة ورفع يديه، وقال: «**اللَّهُمَّ إن هذا يشتم وليا من أوليائك، فلا تفرق هذا الجمع حتى تريهم قدرتك**» . قال قيس: فوالله ما تفرقنا حتى ساخت به دابته فرمته على هامته في تلك الأحجار، فانفلق دماغه ومات. أخرجه الحاكم (٥٧١/٣) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

وعن عامر بن سعد، قال: بينما سعد يمشي، إذ مر برجل وهو يشتم عليا، وطلحة، والزبير، فقال له سعد: «إنك تشتم قوما قد سبق لهم من الله ما سبق،

فوالله لتكفن عن شتمهم، أو لأدعون الله عز وجل عليك» فقال: تخوفني كأنك نبي، فقال سعد: «اللَّهُمَّ إن هذا يشتم أقواما سبق لهم منك ما سبق، فاجعله اليوم نكالا» فجاءت بختية فأفرج الناس لها، فتخبطته، فرأيت الناس يتبعون سعدا ويقولون: استجاب الله لك يا أبا إسحاق. أخرجه الطبراني (١٤٠/١) والبلاذري في أنساب الأشراف وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٤٨/٢٠).

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٤/٩) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. وقال الذهبي في السير (١١٧/١) ولهذه الواقعة طرق جمة رواها ابن أبي الدنيا في مجابو الدعوة.

وعن قبيصة بن جابر الأسدي، قال: قال ابن عم لنا يوم القادسية:

ألم تر أن الله أنزل نصـــره ... وسعد بباب القادسية معصم

فأبنا وقد آمت نساء كثيرة ... ونسوة سعـد ليس فيهن أيم

فلما بلغ سعدا رضي الله عنه، قوله قال: «اللَّهُمَّ اقطع عني لسانه ويده» فجاءت نشابة فأصابت فاه فخرس، ثم قطعت يده في القتال، فقال سعد: «احملوني على باب» فخرج به محمولا، ثم كشف عن ظهره وبه قروح في ظهره، فأخبر الناس بعذره فعذروه، وكان سعد لا يجبن، وقال: " إنما فعلت هذا لما بلغني من قولكم. أخرجه الطبراني (١٤١/١) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٤/٩) رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما ثقات.

وعن عمر بن محمد، أن أباه، حدثه، عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، أن أروى خاصمته في بعض داره، فقال: دعوها وإياها، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «من أخذ شبرا من الأرض بغير حقه، طوقه في سبع أرضين يوم القيامة»، اللَّهُمَّ، إن كانت كاذبة فأعم بصرها، واجعل قبرها في دارها،

قال: " فرأيتها عمياء تلتمس الجدر تقول: أصابتني دعوة سعيد بن زيد، فبينما هي تمشي في الدار مرت على بئر في الدار، فوقعت فيها، فكانت قبرها " رواه مسلم (رقم/١٦١٠)

وعن هشام بن عروة، عن أبيه، أن أروى بنت أويس، ادعت على سعيد بن زيد أنه أخذ شيئا من أرضها، فخاصمته إلى مروان بن الحكم، فقال سعيد: أنا كنت آخذ من أرضها شيئا بعد الذي سمعت من رسول اللهﷺ، قال: وما سمعت من رسول اللهﷺ قال: سمعت رسول اللهﷺ، يقول: «من أخذ شبرا من الأرض ظلما، طوقه إلى سبع أرضين»، فقال له مروان: لا أسألك بينة بعد هذا، فقال: «اللَّهُمَّ، إن كانت كاذبة فعم بصرها، واقتلها في أرضها»، قال: «فما ماتت حتى ذهب بصرها، ثم بينا هي تمشي في أرضها، إذ وقعت في حفرة فماتت» أخرجه مسلم (رقم/١٦١٠).

وعن أنس بن مالك، قال: كنت عند ابن زياد فجيء برأس الحسين فجعل يقول بقضيب في أنفه ويقول: «**ما رأيت مثل هذا حسنا، لم يذكر**؟» قال: قلت: «**أما إنه كان من أشبههم برسول اللهﷺ**» أخرجه الترمذي (رقم/٣٧٧٨) بإسناد صحيح.

وعن عمارة بن عمير، قال: " لما جيء برأس عبيد الله بن زياد وأصحابه نضدت في المسجد في الرحبة فانتهيت إليهم وهم يقولون: قد جاءت قد جاءت، فإذا حية قد جاءت تخلل الرءوس حتى دخلت في منخري عبيد الله بن زياد فمكثت هنيهة، ثم خرجت فذهبت حتى تغيبت. ثم قالوا: قد جاءت، قد

جاءت، ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثا. أخرجه الترمذي (رقم/٣٧٨٠) بإسناد صحيح وصححه الذهبي في السير (٥٤٩/٣).

وعن عمارة بن عمير قال: لما قتل عبيد الله بن زياد أتى برأسه ورءوس أصحابه فألقيت في الرحبة، فقام الناس إليها، فبينما هم كذلك إذ جاءت حية عظيمة فتفرق الناس من فزعها، فجاءت تخلل الرءوس حتى دخلت في منخري عبيد الله بن زياد، ثم خرجت من فيه، ثم دخلت من فيه وخرجت من أنفه، ففعلت ذلك به مرارا، ثم ذهبت ثم عادت، ففعلت به مثل ذلك مرارا! فجعل الناس يقولون قد جاءت قد جاءت، قد ذهبت قد ذهبت، لا يدرى من أين جاءت ولا أين ذهبت. أخرجه الخطيب في التاريخ (١١٣/٥) وقال أخونا الشيخ عبد الرقيب في كرامات الأولياء (ص/٢٦٣) إسناده حسن لغيره.

وعن أبي رجاء العطاردي يقول: «**لا تسبوا عليا ولا أهل هذا البيت، فإن جارا لنا من بلهجيم قال: ألم تروا إلى هذا الفاسق الحسين بن علي قتله الله، فرماه الله بكوكبين في عينيه، فطمس الله بصره**». أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (رقم/٩٧٢) والطبراني في الكبير (١١٢/٣) وأبو العرب في المحن (ص/١٦٣) وإسناده صحيح.

عن عمرو بن مهاجر قال بلغ عمر بن عبد العزيز أن غيلان يقول في القدر فبعث إليه فحجبه أياما، ثم أدخله عليه، فقال غيلان: ما هذا الذي بلغني عنك؟ قال عمرو بن مهاجر: فأشرت إليه أن لا تقول شيئا قال: فقال: نعم يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا

هَدَيْنَهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الإنسان: ١:٣]. قال: اقرأ آخر السورة: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾ ﴾[الإنسان:٣٠:٣١]. ثم قال: ما تقول يا غيلان؟ قال: أقول: قد كنت أعمى فبصرتني، وأصم فأسمعتني، وضالا فهديتني، فقال عمر: اللَّهُمَّ إن كان عبدك غيلان صادقا، وإلا فاصلبه، فأمسك عن الكلام في القدر، فولاه عمر بن عبد العزيز دار الضرب بدمشق، فلما مات عمر بن عبد العزيز، وأفضت الخلافة إلى هشام ، تكلم في القدر، فبعث إليه هشام فقطع يده، فمر به رجل والذباب على يده، فقال له: يا غيلان: هذا قضاء وقدر، فقال: كذبت، لعمر الله ما هذا قضاء ولا قدرا، فبعث إليه هشام فصلبه. أخرجه الآجري في الشريعة (٥/٢٥٥٨) (رقم/٢٠٦٨) وهو صحيح.

وأخرجه الآجري أيضًا وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة بسياق آخر.

وعن سفيان بن عيينة، عن طعمة بن عمرو، كان رجل قد يبس وشحب من العبادة، فقيل له: ما شأنك؟ قال: " إني كنت حلفت أن ألطم عثمان، فلما قتل جئت فلطمته، فقالت لي امرأته: أشل الله يمينك، وصلى وجهك النار، فقد شلت يميني وأنا أخاف. أخرجه ابن أبي الدنيا في مجابو الدعوة (ص/٦٧) (رقم/٣٠) بإسناد حسن.

وعن شداد الأعمى، عن بعض أشياخه من بني راسب قال: " كنت أطوف بالبيت، فإذا رجل أعمى يطوف بالبيت يقول: اللَّهُمَّ اغفر لي وما أراك تفعل، قال: فقلت: أما تتقي الله؟ قال: إن لي شأنا، آليت أنا وصاحب لي لئن قتل عثمان لنلطمن حر وجهه، فدخلنا عليه، وإذا رأسه في حجر امرأته ابنة الفرافصة،

فقال لها صاحبي: اكشفي عن وجهه، فقالت: لم؟ قال: ألطم حر وجهه، قالت: أما ترضى ما قال فيه رسول الله ﷺ؟ ، قال فيه كذا وقال فيه كذا فاستحيي صاحبي فرجع، فقلت لها: اكشفي عن وجهه قال: فذهبت تعدو علي، فلطمت وجهه فقالت: ما لك، يبس الله يدك، وأعمى بصرك، ولا غفر لك ذنبك، قال: فوالله ما خرجت من الباب حتى يبست يدي، وعمي بصري، وما أرى الله يغفر لي ذنبي. أخرجه ابن أبي الدنيا في المصدر السابق (رقم/٢٩) ويتقوى بما قبله.

الحديث الرابع والعشرون: عن المستورد بن شداد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: « **من أكل برجل مسلم أكلة، - وقال مرة: أكلة -، فإن الله يطعمه مثلها من جهنم، ومن اكتسى برجل مسلم ثوبا، فإن الله يكسوه مثله من جهنم، ومن قام برجل مسلم مقام سمعة، فإن الله يقوم به مقام سمعة يوم القيامة** » أخرجه البخاري في الأدب المفرد (رقم/٢٤٠) وأحمد (٢٢٩/٤) واللفظ له وأبو داود (رقم/٤٨٨١) والحاكم (١٢٧/٤) وله شاهد من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند هناد في الزهد (رقم/١٢١٧) وشاهد من مراسيل الحسن البصري أخرجه ابن المبارك في الزهد (رقم/٧٠٧) وعبد الرزاق في المصنف (رقم/٢١٠٠٠) وابن أبي الدنيا في الصمت (رقم/٢٧٢) فالحديث حسن.

قال في عون المعبود (١٥٤/١٣): «**من أكل برجل مسلم**» أي بسبب اغتيابه والوقيعة فيه أو بتعرضه له بالأذية عند من يعاديه «أكلة» بالضم أي لقمة أو بالفتح أي مرة من الأكل «من جهنم» أي من نارها أو من عذابها «ومن كسي» بصيغة المجهول «ثوبا برجل مسلم» أي بسبب إهانته.

قلت: الحديث فيه أن الجزاء من جنس العمل لكن أين تقع مؤاذاة المسلم لأخيه المسلم في الدنيا بجانب عذاب الله في الآخرة من يطيق القرب من النار ومن يطيق شم ريحها ومن يطيق النظر إليها فكيف يطيق أكل لقمة أو أكثر من نارها؟!

الحديث الخامس والعشرون: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ «**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**». أخرجه البخاري في الأدب المفرد (رقم/٢١٨) وأبو داود (رقم/٤٨١١) وأحمد (٢/٢٩٥) وجاء بلفظ: من لم يشكر الناس لم يشكر الله عَزَّ وَجَلَّ عند أحمد أيضا (٢/٢٥٨).

وقد جاء من حديث الأشعث بن قيس قال: قال رسول الله ﷺ: لا يشكر الله من لا يشكر الناس. أخرجه أحمد (٥/٢١٢).

وقد جاء من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد أيضًا (٣/٧٤)

وعن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ «**على المنبر من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله**». أخرجه أحمد أيضًا (٤/٢٧٨) وغيره.

وأخرج ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج (رقم/٩١) والبيهقي في الشعب (١١/٣٩٠) (رقم/٨٧١٩) عن عبيد الله بن محمد التيمي قال كان يقال: من لم يشكر صاحبه على حسن النية لم يشكره على حسن الصنيعة. وهو أثر رجاله ثقات

وقال حبان بن علي: «والله إن رجلا منعه شكر كثير أوليه قليل منعه لقليل الشكر» رواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج (رقم/٩٠)

قال الخطابي في معالم السنن (١١٣/٤) عند قول النبيﷺ: «**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**»

«هذا الكلام يتأول على وجهين أحدهما أن من كان طبعه وعادته كفران نعمة الناس وترك الشكر لمعروفهم كان من عادته كفران نعمة الله وترك الشكر له سبحانه.

والوجه الآخر أن الله سبحانه لا يقبل شكر العبد على إحسانه إليه إذا كان العبد لا يشكر إحسان الناس ويكفر معروفهم لاتصال أحد الأمرين بالآخر» انتهى.

الحديث السادس والعشرون: عن قبيصة بن برمة الأسدي قال كنت عند النبيﷺ فسمعته يقول وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة. تقدم تخريجه وشواهده.

قال المناوي في فيض القدير (٤٤٠/٢) (وإن أهل المنكر في الدنيا) أي ما أنكره الشرع ونهى عنه هم (أهل المنكر في الآخرة) يقول إن ما يفعله العبد من خير وشر في هذه الدار له نتائج تظهر في دار البقاء لأنها محل الجزاء وجزاء كل إنسان بحسب عمله وكل معروف أو منكر يجازى عليه من جنسه وكل إنسان يحشر على ما كان عليه في الدنيا.

الحديث السابع والعشرون: عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللهﷺ «**من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله**». أخرجه أحمد (٤٢/٥، ٤٨-٤٩) والطيالسي (رقم/٨٨٧) والترمذي (رقم/٢٢٢٤) وهو حسن وهو عند ابن أبي

عاصم (رقم/١٠٢٤) بلفظ: السلطان ظل الله في أرضه فمن أكرمه أكرمه الله ومن أهانه أهانه الله. وهو حديث حسن وقد أخرجه أحمد في مسنده (١٦٥/٥) عن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. بلفظ: إنه كائن بعدي سلطان فلا تذلوه، فمن أراد أن يذله فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، ...

قال الشيخ عبد السلام بن برجس رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه معاملة الحكام (ص/٥١): والسلطان ظل الله في الأرض، وهذه الجملة هي مقولة أهل السنة والجماعة حكاها عنهم ابن أبي زمنين في كتابه أصول السنة وهي مروية في عدة أحاديث عن رسول الله ﷺ رواها أبو بكر وعمر وابن عمر وأبو بكرة وأنس وأبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أشار إلى ذلك السخاوي في المقاصد الحسنة وذكر أنه جمعها في جزء سماه رفع الشكوك في مفاخرة الملوك.

وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال نهانا كبراؤنا من أصحاب رسول الله ﷺ «**بقولهم لا تسبوا أمراؤكم ولا تغشوهم ولا تبغضوهم واتقوا الله واصبروا فإن الأمر قريب**». أخرجه ابن أبي عاصم (رقم/١٠١٥) وهو أثر صحيح.

وأخرج ابن عبد البر في التمهيد (٢٨٧/٢١) عن أبي إسحاق السبيعي قال: ما سب قوم أميرهم إلا حرموا خيره. وهو أثر حسن.

وعن حذيفة بن اليمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لا يمشين رجل منكم شبرا إلى ذي سلطان ليذله فلا والله لا يزال قوم أذلوا السلطان أذلاء إلى يوم القيامة. أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٤٨٧/٧) بإسناد صحيح.

ومن هدي السلف في تعظيم السلطان: عن عبد الله بن الصامت أن أبا ذر قال لعثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: والذي نفسي بيده؛ لو أمرتني أن أقعد؛ لما قمت ، ولو أمرتني أن أكون قائما؛ لقمت ما أمكنتني رجلاي ، ولو ربطتني على بعير لم

أطلق نفسي حتى تكون أنت الذي تطلقني! ثم استأذنه أن يأتي الربذة ، فأذن له ، فأتاها. أخرجه ابن حبان في صحيحه (رقم/٥٩٦٤).

وعن عبد الحميد بن عبد الله بن مسلم بن يسار، أن السجان قال لابن سيرين: إذا كان الليل فاذهب إلى أهلك، فإذا أصبحت فتعال. قال: لا والله، لا أكون لك عونا على خيانة السلطان. كما ذكره الذهبي في السير (٦١٦/٤-٦١٧)

قلت: إهانة السلطان إما أن تكون بالسب واللعن والشتم وإما أن تكون بعدم السمع والطاعة فيما يجب أو فيما يجوز وإما أن تكون بنزع يد البيعة وإما أن تكون بالتمالؤ على قتله أو إسقاطه أو تكون بالخروج عليه وغير ذلك

وأما قوله أهانه الله فإليك إيضاح بعض ذلك:

١ – فيه الجزاء من جنس العمل مع الفارق بين إهانة الله وإهانة المخلوق للمخلوق فإهانة الله أشد وأبقى وأدوم

٢ – كلمة أهانه الله مليئة بالتخويف والترهيب كيف لا وهي تهديد من الله فلو هُدِّد الشخص من قبل أبيه أو معلمه أو مسئوله لخاف منه وسعى بالتصالح معه خصوصا إذا كان له سلطة عليه أو يخشى منه ضررا.

٣ – كلمة أهانه الله مطلقة لم تقيد في الدنيا مثلا بل أطلقت فهي شاملة لإهانة الدنيا والآخرة وشاملة للإهانة الحسية والمعنوية والدينية والدنيوية

٤ – كلمة (أهانه الله) أبلغ من عاقبه الله لأن عقوبة الله قد يتبعها إصلاح حال المهان دنيا ودينا أو دنيا بخلاف (أهانه الله) فإنها تتضمن الذلة له والضعة بل تتضمن أن الله يخذله ويكله إلى نفسه فمن حصل له هذا هلك عياذًا بالله إلا أن يتداركه الله بالتوبة عليه فيتوب إلى الله.

٥ – ومن أنواع الإهانة ما يحصل لكثير من الخارجين على الحكام المسلمين من إلقائهم في السجون وما أ دراك ما في السجون من ألوان الإهانة أو التشريد من البلاد إلى الجبال والكهوف أو إلى خارج البلاد وغير ذلك.

٦ – ومن أنواع الإهانة ما يرتكبه من يسعى إلى إهانة السلطان من مخالفات لشرع الله من غدر ومكر وكذب وتلبيس على المسلمين والتشبع بما لم يعط حينما يظهر نفسه أنه الغيور على الإسلام والمسلمين وأنه الصالح للعدل الذي سيحقق للمسلمين الخير والبركة فعندما ينشغل بهذه المعاملة فلا تسئل عن ضعف تدينه وقلة خوفه من الله وإصابة قلبه بالغفلة التي هي أعظم سبب لقساوته وشقاوته وتمكن أمراض أخرى من قلبه كحب الرياسة والبغي على العباد واستسهال الظلم والفساد وغير ذلك ففي هذه المعاصي من الإهانة ما لا يحيط بذلك علما إلا الله.

٧ – لو قدر الله أن الخارجين على الحكام أسقطوا من خرجوا عليه واستولوا على مقاليد الحكم فلن تكون عاقبتهم إلا عاقبة سوء وذلك أن الله يسلط عليهم ظالمين آخرين يفعلون بهم مثلما فعلوا بالحكام الظلمة قبلهم وعلى هذا الصراع المرير عاش عشاق الملك وتجار الحروب ومؤججوا القتل والقتال قال تعالى: ﴿ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [الانعام: ١٢٩].

٨ – ومن أنواع الإهانة ما يحصل من قبل الناس الذين تضرروا بسبب أصحاب الثورات من لعن وسب ودعاء عليهم فكم مظلوم دعا عليه هذا الصنف فقال الله للمظلوم: «لأنصرنك ولو بعد حين».

٩ – ومن الإهانة لمن أهان السلطان أن يسلط الله عليهم بعض شياطين الإنس من دول الكفر فكم شاهدنا من صنف الخارجين على الحكام أنهم قد صاروا عملاء وولاة لأعداء الإسلام وغير ذلك من أنواع الإهانات.

وعلى كلٍّ: لولا سكرة حب الرياسة والملك ما سمع بهذا الحديث أحد إلا وآثر السلامة التي هي أغلى من الدنيا وما فيها فالله الله في فهم هذا الحديث العظيم فهما سديدا ليتحقق به الدواء من الأدواء والشفاء من الأمراض والحمية من الشبهات المعدية والسلامة من الشهوات الهدامة لصون الديانة ولنا كتاب تمام المنة في فقه قتال الفتنة أوضحنا فيه مسائل كثيرة من مسائل الخروج على الحكام فمن أحب زيادة الاستفادة فلعله يجد فيه بغيته وعندما ندعو إلى البعد عن الخروج على الحكام المسلمين لا يعني أبدا أننا نهون من مخالفتهم وانحرافاتهم بل نحن ننكر هذه المخالفات والانحرافات عليهم ونناصحهم فيها ومع هذا لا نستحل الخروج عليهم لتحريم هذا في الشريعة ويسعنا أن نصبر على جورهم وظلمهم كما أوجبت هذا الشريعة الإسلامية فلسنا نغبط الخارجين على الحكام بل والله نشفق عليهم من غوائل الخروج ومن عواقبه الوخيمة ولو أنهم اعتبروا بالخارجين قبلهم وما جر عليهم لكانوا سالمين غانمين آمنين ولكنهم يزين لهم الشيطان أنهم أذكى من خرج قبلهم وأحكم في التدبير وأقدر على الوصول إلى السلطة وغاب عنهم أن الملك لله يؤتيه من يشاء وأن الله لهم بالمرصاد.

الحديث الثامن والعشرون: عن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من أهان قريشا أهانه الله. أخرجه أحمد (٦٤/١) وابن حبان (رقم/٦٢٦٩) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٨٥/٤٦) والضياء في الأحاديث

المختارة (رقم/٣٧٩) والحاكم (٧٤/٤) وأخرجه الترمذي (رقم/٢٢٢٤) وأحمد (١٧١/١، ١٨٣) وأبو عمرو الداني في الفتن (رقم/٢٢٧) والبغوي في شرح السنة (٥٤/١٠) من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعا بلفظ: من يرد هوان قريشا أهانه الله.

وأخرجه البزار في الزوائد (رقم/٢٧٨٢) وابن الأعرابي في معجمه (رقم/١١٢٠) والطبراني في الكبير (رقم/٧٥٣) من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وأخرجه تمام الرازي في الفوائد (رقم/١٤٢١) وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (٧٢/٢) من حديث ابن عباس وهو مخرج في الصحيحة (رقم/١١٧٨)

قال ابن الأثير في الشافي (٥٢٢/٥) من أهان قريشا: أي من أحل بها هوانًا جزاه الله عليه مثله، وقابل هوانه بهوان، ولكن هوان الله أشد وأعظم.

ورواية الترمذي: "من يرد هوان قريش أهانه الله" فهذا أعظم لأنه جعل هوان الله لمن أراد هوانها، فهذا وإن كان اللفظ يقتضيه، ويجوز أن يجعل ذلك خاصا لقريش، لكن حكم الله المطرد في عدله أنه لا يعاقب على الإرادات، وما تحدثت به الأنفس، إنما يعاقب ويجازي على الأفعال والأقوال الواقعة، ولكن ذكر ذلك لمعنيين:-

أحدهما: الزجر والوعيد والتغليظ في حق قريش؛ ليكون الانتهاء عن أذاهم أسرع قبولًا واتباعًا.

والثاني: أن هذا جرى على العادة المألوفة في الخطاب والاتساع في اللغة

الحديث التاسع والعشرون: عن أبي أيوب الإنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم

القيامة» أخرجه الترمذي (رقم/١٥٦٦) وأحمد (٤١٣/٥) والطبراني (٢٤٨/٤) وحسنه الألباني

قال ابن الأمير الصنعاني في سبل السلام (٢٤/٣): هذا الحديث نص في تحريم التفريق بين الوالدة وولدها وقيس عليه سائر الأرحام المحارم بجامع الرحامة.

قلت: ويستفاد من الحديث تحريم التفريق بين اثنين أو أكثر مجتمعين اجتماعا شرعيا كالتفريق بين الزوجين أو الصديقين أو الجارين فكيف لو كان التفريق بين دولتين أو شعبين وهلم جرا فدعاة التحزب من أوائل الداخلين في هذا الحديث وهكذا الدول.

الحديث الثلاثون: عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، قال: يا رب كيف أعودك؟ وأنت رب العالمين، قال: أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني، قال: يا رب وكيف أطعمك؟ وأنت رب العالمين، قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان، فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، يا ابن آدم استسقيتك، فلم تسقني، قال: يا رب كيف أسقيك؟ وأنت رب العالمين، قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي. أخرجه مسلم (رقم/٢٥٦٩).

وقال النووي في شرح مسلم (١٠٣/١٦) قال العلماء إنما أضاف المرض إليه سبحانه وتعالى والمراد العبد تشريفا للعبد وتقريبا له قالوا ومعنى وجدتني عنده أي وجدت ثوابي وكرامتي ويدل عليه قوله تعالى في تمام الحديث لو أطعمته لوجدت ذلك عندي لو أسقيته لوجدت ذلك عندي أي ثوابه والله أعلم»

وقال ابن القيم في مدارج السالكين (٤١١/٣) فتأمل قوله في الإطعام والإسقاء «لوجدت ذلك عندي» وقوله في العيادة «لوجدتني عنده» ولم يقل: لوجدت ذلك عندي، إيذانا بقربه من المريض، وأنه عنده، لذله وخضوعه، وانكسار قلبه، وافتقاره إلى ربه، فأوجب ذلك وجود الله عنده، هذا، وهو فوق سماواته مستو على عرشه بائن من خلقه، وهو عند عبده، فوجود العبد عند ربه ظفره بالوصول إليه.

قلت: هذا حديث عظيم.

تنبيه: قد استدل بهذا الحديث على باطل عظيم ومنكر كبير ألا وهو الحلول والاتحاد وقدر رد أهل العلم على أصحاب هذه الشبهة قال شيخ الإسلام ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل (٢٣٥/٥) في شرح هذا الحديث: فإذا تدبرت النصوص وجدتها قد بينت المراد، وأزالت الشبهة، فإن الحديث الصحيح لفظه: «عبدي، مرضت فلم تعدني.

فيقول: كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ فيقول: أما علمت أن عبدي فلانا مرض، فلو عدته لوجدتني عنده.

فنفس ألفاظ الحديث نصوص في أن الله نفسه لا يمرض، وإنما الذي مرض عبده المؤمن».

وأختم هذا الفصل بكلام طيب لابن القيم فقد قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الوابل الصيب من الكلم الطيب (٤٩): ومن رحم خلقه رحمه ومن أحسن إليهم أحسن إليه ... ومن تتبع عورتهم تتبع عورته ومن هتكهم هتكه وفضحه ومن منعهم خيره منعه خيره ومن شاق شاق الله تعالى به ومن مكر مُكر به ومن خادع

خادعه ومن عامل خلقه بصفة عامله الله تعالى بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة فالله تعالى لعبده على حسب ما يكون العبد لخلقه.

الفصل الثالث

ما يحتاج إليه الباغي والمبغي عليه والظالم والمظلوم

يحتاج كل من الطرفين إلى الرجوع إلى الشريعة الإسلامية والسير بسيرها والتنفيذ لأحكامها وعدم التجاوز لحدودها فيما له وفيما عليه لا ضرر ولا ضرار، أي: لا يضر بغيره ابتداء ولا مجازاة وإليك ما تيسر من التفصيل:

أما الباغي والظالم فيحتاج إلى التوبة إلى الله والتوبة إلى الله هي الرجوع إليه والرجوع إليه سبحانه يكون رجوعا عن كل ما باعده عن ربه من عناد أو جحود أو كبر أو غفلة وإعراض أو اعتراض أو حسد أو حقد أو عجب أو غرور أو غير ذلك وهذه التوبة لابد منها فهي فرض فرضه الله في كتابه سبحانه وفي سنة رسولهﷺ وإجمع أهل العلم على ذلك قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [النور:٣١]. والآيات كثيرة فى هذا الباب وعن ابن عمر قال: قال رسول اللهﷺ: «يا أيها الناس توبوا إلى الله فإنى أتوب فى اليوم إليه مائة مرة» رواه مسلم رقم (٢:٢٧٠).

وأما الإجماع فقد نقلنا ذلك في كتابنا إجماعات المفسرين في سورة النساء عند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ﴾ [النساء : ١٧]. وشروط التوبة أربعة:

١ – الإقلاع عنه.

٢ – الندم على الذنب.

٣ – العزم على عدم العودة إليه.

فهذه الشروط مجمع عليها عند أهل العلم كما أوضحنا هذا في كتابنا إجماعات المفسرين عند الآية المذكورة آنفا.

٤ – رد المظالم إلى أهلها.

وقد تقدمت أحاديث في وجوب التحلل من المظالم.

وزيادة على ذلك ما قاله النبيﷺ: «**لا يأخذن أحدكم متاع أخيه لاعبا ولا جادا ومن أخذ عصا أخيه فليردها**». رواه أبو داود (رقم/٥٠٠٣) والترمذي (رقم/٢١٦٠) وهو حديث حسن.

وأما الإجماع على وجوب رد المغتصب فقد قال ابن حزم في المحلى (٤٤١/٦): ومن غصب دارا فتهدمت كلف رد بنائها كما كان... وهو بإجماعهم معنا وإجماع أهل الإسلام مأمور بردها في كل وقت إلى صاحبها. وقال به الإمام ابن هبيرة في الإفصاح (١٣/٢) وابن رشد في بداية المجتهد (١٥١٣/٤) وابن قدامة وابن عادل في اللباب (٢٩٢/١).

قلت: هذا الإجماع من الإجماعات المتحققة

فإن كانت العين المغصوبة قد تلفت إما بأمر من عند الله أو بأمر من عند الغاصب فيجب ضمانها بالإجماع قال الإمام ابن رشد في بداية المجتهد (١٥١٢١٥١٣/٤): وأما ما يجب فيه الضمان فهو كل مال أتلفت عينه أو تلفت عند الغاصب عينه بأمر من السماء، أو سلطت اليد عليه وتملك، وذلك فيما ينقل ويحول باتفاق».

فإن كان المال المأخوذ ظلما تولد من المال المغتصَب فهو له باتفاق الفقهاء قال ابن حزم في المحلى (٤٣٠/٦): كل ما تولد من مال المرء فهو له باتفاق.

وقال الإمام ابن جزي المالكي في القوانين الفقهية (ص/٢١٧) أما إن كانت الغلة ولادة كنتاج البهائم وولد الأمة فيردها الغاصب مع الأم باتفاق».

وقال الإمام مياره الفاسي في شرحه (٤٢٧/٢): الغلات على ثلاثة أقسام: أحدها غلة متولدة عن الشيء المغصوب على هيئته وخلقته كالولد فإنه يرد مع الأم بلا خلاف».

ألا وليعلم الظالم في أخذ حق غيره أنه لا يجوز له أن يتصرف فيما اغتصبه لأنه محرم عليه الانتفاع به لقول الرسول ﷺ: «**إن دمائكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة شهركم هذا في بلدكم هذا في يومكم هذا**» وهذا الحديث متواتر

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**حرمة مال المسلم كحرمة دمه**». أخرجه أحمد (٤٤٦/١) وأبو نعيم في الحلية (٣٣٤/٧) وهو حديث حسن.

وقام على ذلك الإجماع

قال ابن قدامة في المغني (٤١٨/٧): «فأما الخبر [أي: حديث الخراج بالضمان]، فوارد في البيع ولا يدخل فيه الغاصب؛ لأنه [أي: الغاصب] لا يجوز له الانتفاع بالمغصوب بالإجماع»

وقال ابن عادل في اللباب (٢٩٢/١): «أجمع المسلمون على أنه لا يجوز للغاصب أن ينفق مما أخذه بل يجب رده».

قلت: هذا الإجماع إجماع عظيم قويم والمال المأخوذ ظلما على قسمين: الأول: المال الذي ليس له مالك معين كالأموال التي تؤخذ من رشوة أو بطريق الغش والخداع أو القمار والربا وغير ذلك فهذه كلها محرمة معلومة من الإسلام ومجمع على تحريمها فعلى من وقع في شيء منها أن يقوم بالآتي:

١- أن يتوب إلى الله وذلك بالندم على ما ارتكب والاستغفار والعزم على ألا يعود إلى هذا الظلم.

٢- يتخلص من المال الحرام ما أمكن.

٣- عند التخلص من أي نوع من أنواع المال الحرام لا يجوز للمتخلص منه أن ينوي التصدق به عن نفسه بل ينوي التخلص منه والتطهير لأمواله من الحرام ولنفسه من الظلم وغيره.

٤- المال الحرام يتخلص منه إما بإعطائه الفقراء والمساكين وإما يجعله في المصالح العامة كالطرقات والمستشفيات والمدارس وغير ذلك ولا يجعل في العبادة المحضة سواء كانت عامة أو خاصة كبناء المساجد وغير ذلك.

وإذا أردت المزيد فانظر كتابنا العدل في الأموال قوام العالمين (ص/٩٦-٩٧)

الثاني: مال له مالك معين كالأموال المغتصبة والمنهوبة على أشخاص بأعيانهم فهذه لابد من التحلل منها وذلك بردها إلى صاحبها أو بطلب العفو منه فإن لم يتيسر هذا ولا ذاك جعلها في فعل خير متصدقا بها على نية صاحبها

وإن كان الظالم لا يجد المال يبحث عنه حتى يجده ما دام أن صاحب المال مصرا على رد حقه له.

وإن كان الظالم عليه للآخرين مظالم في الدماء والأنفس فالواجب أن يمتثل لأحكام الشريعة إن كان قصاصا فقصاص وإن كانت الدية فالدية وإن كانت مصالحة فمصالحة وهذه الثلاث : القصاص والدية والمصالحة معلومة من الإسلام ومجمع على وجوب القيام بها على ما جاءت به الشريعة فإن عفا أصحاب الحقوق فأجرهم على الله

وإن كان الظلم في الأعراض بالسب والشتم واللعن أو الرمي بالكفر والفسق أو الزنا والسرقة أو غير ذلك فهذه أمور محرمة معلومة من الإسلام بالضرورة ومجمع على تحريمها فعلى من وقع في ذلك أن يتحلل كما نصت على التحلل المذكور أحاديث سبق ذكر طائفة منها في قواعد هذا الفصل ولو لم يكن منها إلا حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في البخاري (رقم/٦٠٣٤) أن رسول الله ﷺ قال: «**من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلل منها فإنه ليس ثم ومن قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه**».

قال الطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٧٨/١) فتأملنا هذا الحديث فكان ما في رواية ابن أبي ذئب منه " من كانت له مظلمة من أخيه من عرضه أو ماله فليتحلله. فكان معنى ذلك عندنا والله أعلم فليتحلله بما يتحلل به من مثله من دفع مال مكان مال ومن عفو عن عقوبة وجبت في انتهاكه عرضه ؛ لأن ذلك الانتهاك يوجب على المنتهك العقوبة في بدنه كقول الرجل للرجل: يا فاسق أو يا خبيث أو يا سارق ولا تقوم الحجة له عليه أنه كذلك فعلى ذلك القائل العقوبة وللواجبة له تلك العقوبة العفو عنه لا اختلاف بين أهل العلم في ذلك.

وقال ابن القيم في مدارج السالكين (٢٩٠/١): وإن كانت المظلمة بقدح فيه، بغيبة أو قذف فهل يشترط في توبته منها إعلامه بذلك بعينه والتحلل منه؟ أو إعلامه بأنه قد نال من عرضه ولا يشترط تعيينه، أو لا يشترط لا هذا ولا هذا، بل يكفي في توبته أن يتوب بينه وبين الله من غير إعلام من قذفه واغتابه؟

على ثلاثة أقوال، وعن أحمد روايتان منصوصتان في حد القذف، هل يشترط في توبة القاذف إعلام المقذوف، والتحلل منه أم لا؟ ويخرج عليهما توبة المغتاب والشاتم.

والمعروف في مذهب الشافعي، وأبي حنيفة، ومالك اشتراط الإعلام والتحلل، هكذا ذكره أصحابهم في كتبهم.

والذين اشترطوا ذلك احتجوا بأن الذنب حق آدمي فلا يسقط إلا بإحلاله منه وإبرائه.

ثم من لم يصحح البراءة من الحق المجهول شرط إعلامه بعينه، لا سيما إذا كان من عليه الحق عارفا بقدره، فلا بد من إعلام مستحقه به، لأنه قد لا تسمح نفسه بالإبراء منه إذا عرف قدره.

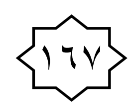
واحتجوا بالحديث المذكور، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: «من كان لأخيه عنده مظلمة - من مال أو عرض - فليتحلله اليوم.

قالوا: ولأن في هذه الجناية حقين: حقا لله، وحقا للآدمي، فالتوبة منها بتحلل الآدمي لأجل حقه، والندم فيما بينه وبين الله لأجل حقه.

قالوا: ولهذا كانت توبة القاتل لا تتم إلا بتمكين ولي الدم من نفسه، إن شاء اقتص وإن شاء عفا، وكذلك توبة قاطع الطريق.

والقول الآخر: أنه لا يشترط الإعلام بما نال من عرضه وقذفه واغتيابه، بل يكفي توبته بينه وبين الله، وأن يذكر المغتاب والمقذوف في مواضع غيبته وقذفه بضد ما ذكره به من الغيبة، فيبدل غيبته بمدحه والثناء عليه، وذكر محاسنه، وقذفه بذكر عفته وإحصانه، ويستغفر له بقدر ما اغتابه.

وهذا اختيار شيخنا أبي العباس ابن تيمية، قدس الله روحه».



قلت: خلاصة التحلل من مظالم الأعراض بالآتي:

١ – التوبة إلى الله من الطعن في عرض أخيه فيما بينه وبين الله وذلك أن يندم على ما حصل منه وأن يعزم على أن لا يعود إلى الطعن في أ خيه وإخوانه

٢ – أن يبدل الطعن بالثناء على أخيه بما يستحق بدون وكس ولا شطط

٣ – الاستغفار لأخيه والدعاء له بالخير في دينه ودنياه

٤ – الدفاع عنه عند الحاجة إلى ذلك

٥ – طلب العفو عنه والمسامحة له إن تيسر ذلك وإن لم يتيسر اكتفى بما سبق والله الهادي إلى سبيل الرشاد.

وأما المظلوم فعليه عند حصول الظلم عليه الآتي:

١ – التسليم لله فيما قضاه وقدره عليه لأنه سبحانه أعلم به وأحكم وأرحم فله سبحانه في هذا التسليط عليه الحكم البالغة قال تعالى مخبرا عما جرى لبني إسرائيل من قبل فرعون: ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ [البقرة: ٤٩].

وقال مخاطبًا الصحابة فيما جرى عليهم في أحد: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾﴾ [ال عمران: ١٦٦]. وغير ذلك من الأدلة.

٢ – التفتيش عن ذنوبه التي كانت سببا في إصابته بما أصيب به من قبل المعتدي عليه قال تعالى مخبرا عما جرى للصحابة في أحد من تسليط الكفار عليهم حتى قتلوا منهم سبعين وكسرت رباعية رسول الله ﷺ وشج في وجهه بل كاد أن يقتل: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ

عِندِ أَنفُسِكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ ﴿١٦٥﴾ ﴾[ال عمران: ١٦٥]. وقال تعالى: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ ﴾ [النساء : ٧٩].

٣ – الصبر المحمود على ما ابتلي به والمراد بالصبر المحمود أن يحتسب ذلك عند الله ولا يحدث ما يثير الفتنة عليه ولا على خصمه ولا على غيرهما واعلموا معاشر المسلمين أن الأصل في الفتن الكبار والصغار والعامة والخاصة عدم حسن التصرف في البدء بمعالجة الفتن وهذا هو الأصل الأول.

والأصل الثاني: عدم الصبر عند حصول الاعتداء عندما يكون الصبر هو العلاج للفتنة قاله الحسن البصري لما نزلت بهم فتن عظيمة: «**والله لتصبرن أو لتهلكن**» أخرجه أحمد في الزهد (رقم/١٦٣٨). ووكيع في الزهد (رقم/١٩٧) بإسناد صحيح.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الاستقامة (٣٩/١-٤٠): ولا تقع فتنة إلا من ترك أمر الله به فإنه سبحانه أمر بالحق وأمر بالصبر فالفتنة إما من ترك الحق وإما من ترك الصبر فالمظلوم المحق الذي لا يقصر في علمه يؤمر بالصبر فإذا لم يصبر فقد ترك المأمور... لا يعرف كل أحد حال غيره من إيذاء له بقول أو فعل قد يحسب المؤذي إذا كان مظلوما لا ريب فيه أن ذلك المؤذي محض باغ عليه ويحسب أنه يدفع ظلمه بكل ممكن ويكون مخطئا في هذين الأصلين إذ قد يكون المؤذي متأولا مخطئا وإن كان ظالما لا تأويل له فلا يحل دفع ظلمه بما فيه فتنة بين الأمة وبما فيه شر أعظم من ظلمه بل يؤمر المظلوم هاهنا بالصبر فإن ذلك في حقه محنة وفتنة.

قلت: فهذا الصبر الذي دعونا المسلمين إليه هو صبر الأنبياء والمرسلين والصديقين وهذا معلوم عند المتضلعين بأحكام الشريعة وهو المراد في قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له**». أخرجه مسلم (رقم/٢٠٩٢) من حديث صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عجبت للمؤمن أن لا يقضي له قضاء إلا كان خيرا له**». أخرجه الإمام أحمد (١١٧/٣، ١٨٤)، (٢٤/٥) وأبو يعلى (رقم/٤٢١٧) وابن حبان (رقم/١٨١٤) وهو حديث حسن فإياك إياك أيها المسلم أن تبقى مع الحمقى من الناس الذين قل صبرهم وعظمت حماقتهم فتسلك مسالك الويل وتجلب ما يعقب الضير فبيض وجهك بالحكمة والموعظة الحسنة والصبر المحمود والأخلاق العالية.

٤ – سلوك الطرق الشرعية النافعة في المطالبة بالحق عند اقتضاء المصلحة قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: من طلب حقا فليطلبه في عفاف واف أو غير واف. أخرجه ابن حبان (رقم/٥٠٨٠) والحاكم (٣٨/٢) وابن ماجه (رقم/٢٤٢١) عن عائشة وابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

واعلم أخا الإسلام أن سلوكك الطرق الشرعية في المطالبة بحقك من أعظم نصر الله لك وقهرك لخصمك قال تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾ [الاسراء: ٣٣]. فكم فات أناس هذا النصر بسبب تجاوزهم في أخذ حقهم فإنا لله وإنا إليه راجعون.

٥ – إذا لم يتيسر للمظلوم أخذ حقه في الدنيا فليعلم أنه سيأخذه في الآخرة بحكم أحكم الحاكمين ومن هو بكل شيء عليم وأخذه لحقه هناك أنفع له ألا ترى أنه يأخذ من حسنات الظالم بقدر مظلمته والحسنة الواحدة في ذلك اليوم أغلى من الدنيا وما فيها فما خاب ولا خسر عندما أخر حقه إلى يوم القيامة بل صال وجال ونال المراد وفاز بالانتصار والعزة والافتخار في ذلك اليوم قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [غافر: ٥١، ٥٢].

٦ – لا ييأس المظلوم من أخذ حقه في الدنيا بل إذا عجز اليوم فقد يجد القدرة على أخذ حقه في الغد لأن الأحوال تتغير وهذا حاصل كثير فلا داعي أن المسلم يضيق على نفسه حتى يقع في الورطات واللطمات والنكبات والله المعين.

الخاتمة وفيها معلومات مهمة

المعلومات في هذه الخاتمة هي معلومات في بيان بعض أحوال العباد يوم القيامة التي يحتاج كل واحد منا أن يتفقد حاله اليوم قبل ذلك اليوم الرهيب ومن ذلك:

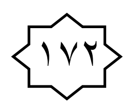
١ – انظر في حججك يوم القيامة:

عن مجاهد قال يؤتى بثلاثة نفر يوم القيامة بالغني وبالمريض والعبد فيقول للغني ما منعك عن عبادتي فيقول أكثرت لي من المال فطغيت فيؤتى بسليمان بن داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في ملكه فيقال له أنت كنت أشد شغلا أم هذا قال بل هذا قال فان هذا لم يمنعه شغله عن عبادتي قال فيؤتى بالمريض فيقول ما منعك عن عبادتي قال يا رب أشغلت على جسدي قال فيؤتى بأيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في ضره فيقول له أنت كنت أشد ضرا أم هذا قال فيقول لا بل هذا قال فان هذا لم يمنعه ذلك أن عبدني قال ثم يؤتى بالمملوك فيقال له ما منعك عن عبادتي فيقول جعلت علي أربابا يملكونني قال فيؤتى بيوسف الصديق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في عبوديته فيقال أنت أشد عبودية أم هذا قال لا بل هذا قال فان هذا لم يشغله شيء عن عبادتي. أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/٢٨٨).

٢ – انظر في زادك لمعادك:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ ﴾ [الحشر: ١٨].

قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بئس الزاد إلى المعاد العدوان إلى العباد. ذكره الذهبي في السير (١٠/٤١)



وقال الشاعر:

إذا ما قال لي ربي أما أستحييت تعصيني

تخفي الذنب عن عبدي وبالعصيان تأتيني

وقال الحافظ سليمان بن مهران: (من كانت تجارته المعاصي كلت الألسن عن أن تصف خسارة تجارته).

وقال عمر بن الخطاب: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا). أخرجه أحمد في الزهد (رقم/٦٣٣) وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس (رقم/٢) من طريق سفيان بن عيينة عن جعفر بن برقان عن ثابت بن الحجاج قال: قال عمر... فذكره وسنده صحيح إلى ثابت بن الحجاج وروايته عن عمر منقطعة.

وأخرجه ابن المبارك في الزهد (رقم/٢٩١) عن مالك بن مغول أنه بلغه أن عمر بن الخطاب قال... فذكره.

وذكره الترمذي في السنن (رقم/٢٩٥٤) بدون سند. فالأثر بمجموع الطريقين يكون حسنا إن شاء الله.

وقال الذهبي في السير (٢٢٢/٣) وكتب رجل إلى ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن اكتب إلي بالعلم كله، فكتب إليه: إن العلم كثير ولكن إن استطعت أن تلقى الله خفيف الظهر من دماء الناس خميص البطن من أموالهم كاف اللسان عن أعراضهم لازما لأمر جماعتهم فافعل».

وعن عبد السميع بن داود العباسي قال: قصد ملك شاه رجلان من أهل البلاد السفلي من أرض العراق يعرفان: بابني غزال، من قرية تعرف بالحدادية، فتعلقا بركابه وقالا: نحن من أسفل واسط من قرية تعرف بالحدادية، مقطعة لخمارتكين الحلبي، صادرنا على ألف وستمائة دينار، وكسر ثنيتي أحدنا

والثنيتان بيده، وقد قصدناك أيها الملك لتقتص لنا منه، فقد شاع من عدلك ما حملنا على قصدك، فإن أخذت بحقنا كما أوجب الله عليك وإلا فالله الحاكم بالعدل بيننا. وفسر على السلطان ما قالاه. قال عبد السميع:

فشاهدت السلطان وقد نزل عن فرسه وقال: ليمسك كل واحد منكما بطرف كمي واسحباني إلى دار حسن هو نظام الملك فأفزعهما ذلك، ولم يقدما عليه، فأقسم عليهما إلا فعلا، فأخذ كل واحد منهما بطرف كمه وسارا به إلى باب النظام، فبلغه الخبر، فخرج مسرعا وقبل الأرض بين يديه وقال أيها السلطان المعظم، ما حملك على هذا؟ فقال: كيف يكون حالي غدا بين يدي الله إذا طولبت بحقوق المسلمين وقد قلدتك هذا الأمر لتكفيني مثل هذا الموقف، فان تطرق على الرعية ثلم لم يتطرق إلا بك وأنت المطالب، فانظر بين يديك، فقبل الأرض وسار في خدمته، وعاد من وقته، فكتب بعزل خمارتكين وحل إقطاعه، ورد المال إليها وقلع ثنيتيه إن ثبت عليه البينة، ووصلهما بمائة دينار، وعادا من وقتهما.

٣ – فتش عن عيوبك قبل الفضائح يوم القيامة

عن الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: يا مسكين، أنت مسيئ وترى أنك محسن، وأنت جاهل وترى أنك عالم، وتبخل وترى أنك كريم، وأحمق وترى أنك عاقل، أجلك قصير، وأملك طويل.

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قلت: إي والله، صدق، وأنت ظالم وترى أنك مظلوم، وآكل للحرام وترى أنك متورع، وفاسق وتعتقد أنك عدل، وطالب العلم للدنيا وترى أنك تطلبه لله. سير أعلام النبلاء (٤٤٠/٨).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مدارج السالكين (١/٥٢٣-٥٢٥): وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول : العارف لا يرى له على أحد حقا ولا يشهد له على غيره فضلا ولذلك لا يعاتب ولا يطالب ولا يضارب... وكان يقول كثيرا : ما لي شيء ولا مني شيء ولا في شيء وكان كثيرا ما يتمثل بهذا البيت :

أنا المكدى وابن المكدى وهكذا كان أبي وجدي

وكان إذا أثني عليه في وجهه يقول : والله إني إلى الآن أجدد إسلامي كل وقت وما أسلمت بعد إسلاما جيدا وبعث إلي في آخر عمره قاعدة في التفسير بخطه وعلى ظهرها أبيات بخطه من نظمه :

أنا الفقير إلى رب البريات ... أنا المسيكين في مجموع حالاتي

أنا الظلوم لنفسي وهي ظالمتي ... والخير إن يأتنا من عنده يأتي

لا أستطيع لنفسي جلب منفعة ... ولا عن النفس لي دفع المضرات

وليس لي دونه مولى يدبرني ... ولا شفيع إذا حاطت خطيئاتي

إلا بإذن من الرحمن خالقنا ... إلى الشفيع كما قد جاء في الآيات

ولست أملك شيئا دونه أبدا ... ولا شريك أنا في بعض ذرات

ولا ظهير له كي يستعين به ... كما يكون لأرباب الولايات

والفقر لي وصف ذات لازم أبدا ... كما الغنى أبدا وصف له ذاتي

وهذه الحال حال الخلق أجمعهم ... وكلهم عنده عبد له آتي

فمن بغى مطلبا من غير خالقه ... فهو الجهول الظلوم المشرك العاتي

والحمد لله ملء الكون أجمعه ... ما كان منه وما من بعد قد ياتي

٤ – وطن نفسك على مراقبة الله حتى تلقاه

قال الربيع بن خثيم: إذا تكلمت فاذكر سمع الله إليك، وإذا هممت فاذكر علمه بك، وإذا نظرت فاذكر نظره إليك، وإذا تفكرت فاذكر اطلاعه عليك، فإنه يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء:٣٦]. صفة الصفوة (٦٨/٣).

٥ – أنزل الناس منازلهم تنجو من غوائلهم يوم القيامة:

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: «**أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم**»

رواه مسلم في مقدمة صحيحة تعليقا فقال: وقد ذكر عن عائشة رضي الله تعالى عنها، أنها قالت: فذكره.

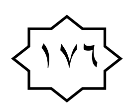
ووصله أبو نُعيم في المستخرج وأبو داود في سننه وابن خزيمة في صحيحه والبزار وأبو يعلى في مسنديهما وأبو نعيم في الحلية من طريق ميمون ابن أبي شبيب عن عائشة رضي الله عنها.

وجزم الحاكم في "معرفة علوم الحديث" بتصحيحه في النوع السادس عشر من علم الحديث فقال: فقد صحت الرواية عن عائشة وساقها بلا إسناد وكذا صححه ابن خزيمة حيث أخرجه في كتاب السياسة من صحيحه وقال أبو داود: ميمون لم يدرك عائشة.

ووصله أيضا البيهقي في الشعب وفي الآداب من طريق عمر بن مخراق عن عائشة

قال الإمام أحمد: وعمر بن مخراق، عن عائشة مرسل

والحديث مخرج في "سلسلة الأحاديث الضعيفة" للشيخ الألباني رقم (١٨٩٤).



والراجح ضعف الحديث مع أن معناه صحيح.

وقال بكر بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما عليك أن تنزل الناس منزلة أهل البيت فتنزل من كان أكبر منك منزلة أبيك وتنزل من كان منهم قرينك منزلة أخيك وتنزل من كان أصغر منك منزلة ولدك فأي هؤلاء تحب أن يتهتك ستره. أخرجه ابن أبي الدنيا (٥٢٨/٧) في كتابه مداراة الناس (رقم/٥٣).

وقال بكر بن عبد الله المزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا رأيت من هو أكبر منك فقل: هذا سبقني بالإيمان والعمل الصالح فهو خير مني، وإذا رأيت من هو أصغر منك فقل: سبقته إلى الذنوب والمعاصي فهو خير مني، فإنك لا ترى أحدا إلا أكبر منك أو أصغر منك، وإذا رأيت إخوانك يكرمونك ويعظمونك فقل: هذا فضل أخذوا به، وإذا رأيت منهم تقصيرا فقل: هذا ذنب أحدثته. صفة الصفوة (٢٤٨/٣) وابن أبي الدنيا في مداراة الناس (رقم/٥١).

الفهرس